

المحاضرة التاسعة

فتح المنان في صفات عباد الرحمن

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ؛ نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله ؛ فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد:

فإني لما انتهيت من كتابي «وصف الجنة من صحيح السنة» وألقيته في محاضرة عامة علىٰ جمع من الشباب المسلم ، فوجدت شوقهم إليها قد زاد ، وكأنهم يريدون أن يدفعوا النفس والمال في سبيل الوصول إليها ، وكأني بهم وهم ينظرون حولهم يتلمسون الطريق ، فقمت بوضع هذ الكتاب ، ليبين لهم الطريق ، وينير لهم السبيل ، مستمداً ذلك من كتاب الله تبارك وتعالىٰ ، فهو النور ، وهو الهدىٰ ، ومن سنة رسول الله ﷺ الصحيحة ، ثم الآثار عن الصحابة والتابعين .

وأسميته:

«فتح المنان في صفات عباد الرحمن»

والله أسأل أن يجنبني الزلل في القول والعمل، وأن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله ذخراً لي في حياتي وبعد مماتي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

وحيد بن عبد السلام بالي

المدينة المنورة في ٢٨/ ١/ ١٤٠٨هـ

النوايا التي يمكن أن يستحضرها المحاضر قبل إلقاء هذه المحاضرة

أولاً: النوايا العامة:

١ ـ ينوي القيام بتبليغ الناس شيئًا من دين الله إمتثالاً لقول النبي ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية» رواه البخاري.

٢ ـ رجاء الحصول على ثواب مجلس العلم[١].

٣ ـ رجاءأن يرجع من مجلسه ذلك مغفوراً له[٢].

٤ ـ ينوي تكثير سواد المسلمين والالتقاء بعباد الله المؤمنين.

٥ ـ ينوي الاعتكاف في المسجد مدة المحاضرة ـ عند من يرى جواز ذلك من الفقهاء ـ لأن الاعتكاف هو الانقطاع مدّة لله في بيت الله.

٦ ـ رجاء الحصول على أجر الخطوات إلى المسجد الذي سيلقي فيه المحاضرة[٣].

---

(١) روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

(٢) روى الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٧) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم على ذكر، فتفرقوا عنه إلا قيل لهم قوموا مغفوراً لكم»، ومجالس الذكر هي المجالس التي تذكر بالله وبآياته وأحكام شرعه ونحو ذلك.

(٣) في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح».

وفي صحيح مسلم عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: «من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته: إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة».

٧ ـ رجاء الحصول على ثواب انتظار الصلاة بعد الصلاة، إذا كان سيلقي محاضرته مثلاً من المغرب إلى العشاء، أو من العصر إلى المغرب(١) .

٨ ـ رجاء أن يهدي الله بسبب محاضرته رجلاً . فيأخذ مثل أجره(٢) .

٩ ـ ينوي إرشاد السائلين، وتعليم المحتاجين، من خلال الرد على أسئلة المستفتين(٣) .

١٠ ـ ينوي القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ بالحكمة والموعظة الحسنة ـ إن وجد ما يقتضي ذلك(٤) .

١١ ـ ينوي طلب النضرة المذكورة في قول النبي ﷺ: «**نَضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها، ثم أداها إلى من لم يسمعها**». رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦) .

ـ ثم قد يفتح الله على المحاضر بنوايا صالحة أخرى فيتضاعف أجره لقول النبي ﷺ: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**». متفق عليه .

---

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة» .

ـ وروى البخاري عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه» .

(٢)، (٤) روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم» .

ـ وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا» .

(٣) روى الترمذي وصححه الألباني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: إن الله وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير» .

وصلاة الملائكة الاستغفار .

فتح المنان في صفات عباد الرحمن

ثانيًا: النوايا الخاصة بهذه اللقاءات:

١ ـ تنوي بها تعريف المسلمين بالصفات التي تؤهلهم لدخول الجنة .

٢ ـ حث المسلمين علىٰ التواضع وعدم الكبر .

٣ ـ حث المسلمين علىٰ الحلم .

٤ ـ حث المسلمين علىٰ قيام الليل .

٥ ـ تخويف المسلمين من النار ليبتعدوا بذلك عن معصية الجبار .

٦ ـ حث المسلمين علىٰ الاعتدال في الإنفاق وعدم الإسراف أو التقتير .

٧ ـ حض المسلمين علىٰ إخلاص العبودية لله وحده .

٨ ـ تحذير المسلمين من قتل معصوم الدم .

٩ ـ تحذير المسلمين من زنا الفرج والجوارح .

١٠ ـ ترغيب المسلمين في التوبة من الذنوب والمعاصي والتقصير في جنب الله .

١١ ـ تحذير المسلمين من شهادة الزور .

١٢ ـ ترغيب المسلمين في الإعراض عن اللغو .

١٣ ـ حثهم علىٰ المسارعة في الاستجابة لأوامر الله .

١٤ ـ حثهم علىٰ الدعاء بصلاح الأهل والذرية .

١٥ ـ حثهم علىٰ التقوىٰ والخوف من الله .

١٦ ـ تعريفهم بجزاء الصالحين في الآخرة .

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا
سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا
وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا
يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن
تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا
(٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا
(٧٤) أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥)

الصفة الأولى

التواضع

هذه أول صفة وصف الله بها عباد الرحمن.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

أي: بسكينة ووقار؛ من غير جبرية ولا استكبار.

ولمعرفة هذه الصفةِ لابدَّ من معرفة نقيضها، ألا وهو الكبر.

الآيات في ذم الكبر:

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

* * *

الأحاديث في ذم الكبر ومدح التواضع

عن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»**[١]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلاَّ عزًا، وما تواضع أحد لله إلاَّ رفعه الله»**[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من آدمي، إلاَّ في رأسه حكَمة[٣]، بيد مَلَك، فإذا تواضع، قيل للمَلَك، ارفع حكمته، وإذا تكبَّر، قيل للملك: ضع حكَمته»**[٤].

وعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون[٥]، المتشدقون[٦] والمتفيهقون»**.

قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارين والمتشدقين؛ فما المتفَيْهِقون؟ قال: «المستكبرون»[٧].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ قالا: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عزَّ وجلَّ: **«العزُّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني، عذبته»**[٨].

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه: مسلم (١٦/ ١٤١ - نووي)، والترمذي (٣/ ٢٥٤).
(٣) (الحكمة)؛ بفتح الحاء والكاف: هي ما تجعل في رأس الدابة كالزمام
(٤) رواه الطبراني، وحسنه: المنذري في «الترغيب» (٥/ ١٨٢)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٢).
(٥) (الثرثار): كثير الكلام تكلفاً.
(٦) (المتشدق): المتفاضح
(٧) رواه الترمذي.
(٨) رواه مسلم (١٦/ ١٧٣) نووي.

«ألا أخبركم بأهل النار، كل عُتُلٍّ [١] جوَّاظٍ مستكبرٍ» [٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل النار كل جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مستكبر جمَّاعٍ منَّاعٍ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون» [٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذِّبُ بك من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها» [٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملِك كذاب، وعائل [٥] مستكبر» [٦].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر؛ كبَّه الله لوجهه في النار» [٧].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «لا يدخل الجنة

---

(١) (العتل): الغليظ الجافي.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٧٤١).

(٤) رواه مسلم في كتاب «صفة الجنة والنار» (١٧/ ١٨١ - نووي).

(٥) (عائل): فقير.

(٦) رواه مسلم (٢/ ١١٥ - نووي).

(٧) رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح، قاله المنذري في «الترغيب» (٥/ ١٨٧) وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١١/ ١٩٣٤): «إسناده صحيح».

من كان في قلبه **مثقال ذرة من كبر**»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق**[١]، **وغمط الناس**[٢] »[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: « **بينما رجل ممَّن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء**[٤]، **خسف به؛ فهو يتجلجل** [٥] **في الأرض إلى يوم القيامة**»[٦].

وعنه أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «**من جرَّ ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[٧].

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الرجل يذهب بنفسه**[٨]، **حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم**»[٩].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّرِّ في صور الرجال، يغشاهم الذُّلُّ من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم، يقال له: بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقَوْن من عصارة أهل النار، طينة الخبال**»[١٠].

---

(١) (بطر الحق): رد الحق وعدم قبوله. (٢) (غمط الناس): احتقارهم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) (الخيلاء): الكبر والتعجب.

(٥) «يتجلجل: يغص وينزل.

(٦) رواه البخاري.

(٧) رواه البخاري، ومسلم.

(٨) (يذهب بنفسه): يتكبر ويتعالى.

(٩) رواه الترمذي وحسنه (٣/ ٢٤٤).

(١٠) رواه النسائي والترمذي وحسنه.

الآثار في ذم الكبر والمتكبرين:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «**لا يحقرنَّ أحدٌ أحدًا من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير**».

وقال وهب بن منبه رحمه الله: «**لما خلق الله جنة عدن، نظر إليها، فقال: ت حرام على كل متكبر**».

وقال الأحنف بن قيس: «**عجبًا لابن آدم! يتكبر وقد خرج من مجرى البول رتين!**».

وقال الحسن البصري رحمه الله: «**العجب من ابن آدم! يغسل الخرء بيده ل يوم مرة أو مرتين، ثم يعارض جبار السماوات والأرض**».

وقال محمد بن علي بن الحسين رحمه الله: «**ما دخل قلب امرئ يء من الكبر قط، إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك، قلَّ أو ثر**».

وقال النعمان بن بشير رضي الله عنهما: «**إن للشيطان مصالي وفخوخًا، وإن ن مصالي الشيطان وفخوخه، البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبر لى عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله**».

❋ ❋ ❋

درجات المتكبرين[1]

١ ـ المتكبر على الله:

وهو أغلظ المتكبرين كفرًا وأكثرهم عنادًا وعتوًا، فتجده لا يقر بوجود الله، كالدهريين في القديم، وكالشيوعيين الآن، بل ربما زاد طغيانه فادَّعىٰ لنفسه الألوهيَّة، كالنمرود الذي حاجَّ إبراهيم في ربه.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]

وكفرعون الذي ادَّعىٰ لنفسه الألوهيَّة والربوبيَّة معًا:

فقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وقال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

٢ ـ المتكبر على الرسل:

الذي لا تطاوعه نفسه من الانقياد لبشر:

ولذلك قال المشركون: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقال فرعون وملؤه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧].

وقد أخبر الله تبارك وتعالىٰ عن المتكبرين علىٰ الرسل بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٤].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (١١/ ١٩٤٩) علىٰ دَخَن ما فيه، فاحذره.

٣ ـ المتكبر على العباد:

وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فتأبىٰ نفسه عن الانقياد لهم، وتدعوه إلىٰ الترفع عليهم، فيزدريهم، ويستصغرهم، ويأنف من مساواتهم.

ولذلك قال كفار قريش لرسول الله ﷺ: كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء (وأشاروا إلىٰ فقراء المسلمين)؟! فأنزل الله تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٢][١].

وقال ﷺ: «**بحسب إمرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم**»[٢].

أنواع المتكبرين[٣]:

١ ـ من الناس من يتكبَّر بملكه أو مكانته الاجتماعية، ويقوِّي هذا الكبر ويعظمه كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين، الذين جعلوا النفاق عادة ومكسبًا، والتملق خديعة وملعبًا، فيمدحونه بما ليس فيه، ويرفعونه فوق شأنه ومرتبته، فيظن ذلك حقًا، فيزداد كبراً.

وقد قيل: عجب لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح؟! ولمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب؟!.

وقال الشاعر:

يا جاهلاً غرَّهُ إفراطُ مادحِهِ ... لا يَغْلِبَنْ جهلُ مَنْ أطراكَ علمَكَ بكْ
أثنى وقالَ بلا علمٍ أحاط بهِ ... وأنتَ أعلمُ بالمحصولِ مِنْ ربكْ

هذا النوع من الكبر منتشر في الملوك والرؤساء، ولذلك يجب عليهم أن

(١، ٢) رواه مسلم.

(٣) راجع: «وقاية الإنسان من الجن والشيطان» للمؤلف.

يبعـدوا عنهم بطانة السـوء التي تزين لـهم سـوء أفعـالهم ، ولا تبين لهم قـبيح أعـمالهم فـترديهم وتهلكهم ، وهؤلاء الملوك لـو عقلوا لعلمـوا أن المُلكَ أيام لا تدوم ، ولو دام لغيرهم ، ما وصل إليهم .

﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

فلا يبقىٰ لهم إلا السيرة الحسنة أو السيئة .

٢ ـ ومن الناس من يتكبَّر بماله ، وهذا مغفَّل جاهل ؛ لأنه لو كـان عـاقلاً ، لعلم أن المال عاريَّة ، يمكن أن يأخذه الله في أي وقت وبأي سبب :

كصاحب الجنة ، قال تعالىٰ : ﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا** ﴾ [الكهف : ٣٥] ، فأرسل الله تعالىٰ علىٰ جنته حسبانًا من السماء ، فتركها خاوية علىٰ عروشها .

وكقارون الذي تكبر بماله الذي كثر ، حتىٰ إن مفاتيح الخزائن لا يستطيع حملها عصبةٌ من الرجال ، الأقوياء ، فخسف الله تعالىٰ به الأرض ، فكانت عاقبته الخسران المبين .

ولو أن الله ابتلىٰ ذلك الفتىٰ بمرض ؛ لتمنىٰ أن يؤخذ منه ماله كله وترد إليه صحته كما روي أن ملكًا من ملوك المسلمين طلب كوبًا من الماء ليشرب ؛ فجاءه الخادم بالكوب ، وقال له : أيها الملك ! لا تشرب ، حتىٰ أسألك سؤالاً . قال : سل قال : إذا مُنع منك هذا الكوب فبكم تشتريه؟ قال الملك : بنصف ملكي . قال : فإذا شربته ، ووقف في مثانتك ، فلم ينزل ؛ فكم تدفع حتىٰ تنزله؟ قال : ملكي كله ، قال : إذاً ؛ فملكك لا يساوي بولة واحدة ! .

٣ ـ ومن الناس من يتكبَّر بقوته وصحته، وهذا رجل غافل لأن القوة ليست هي مقياس الشرف بين الناس، وهل قوة هذا الرجل تكافئ قوة حمار أو بغل؟! ولو كانت القوة هي المقياس؛ لاستحق الحمار أن يكون مديراً، والبغل أن يكون وزيراً، والفيل أن يكون رئيسًا، ولكن المدار على العقل، فبه يصل الإنسان إلى معرفة ربه وخالقه، وبه يسير الإنسان في الناس سيراً حسنًا، وهو الذي يجنب صاحبه المضار والمهالك.

وقد نسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأبيات الآتية:

إنّ المَكَارِمَ أخلاقٌ مُطَهَّرةٌ ... فَالعَقْلُ أوَّلُها والدِّينُ ثانيها
والعِلْمُ ثالثُها والحِلْمُ رابِعُها ... والجُودُ خامِسُها والعُرْفُ سادِيها
والبِرُّ سابِعُها والصَّبْرُ ثامِنُها ... والشُّكْرُ تاسِعُها واللِّينُ عاشِيها[1]

فانظر هداك الله أنه لم يَعُد القوة والفتوة من المكارم، لأنها لا تكون مفخرة إلاَّ إذا استخدمت في الخير والإصلاح.

وقد روي أن أبا حنيفة رحمه الله كان يلقي على تلامذته درس فقه، وكان ماداً رجليه، فدخل المسجد رجل حسن الهيئة فارع الطول، وأتى حلقة أبي حنيفة ليستمع، فضم أبو حنيفة رجليه احتراماً للقادم، وظل يلقي درسه، حتى وصل إلى قوله: وقت المغرب يبدأ من غروب الشمس إلى غياب الشفق الأحمر من السماء. فقال: هذا الرجل: يا شيخ! أرأيت إن لم تغرب الشمس؟! فقال أبو حنيفة: الآن آن لأبي حنيفة أن يمدَّ رجليه.

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ١١٠).

وقد قيل:

يَزِينُ الفَتَى في النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِه ... وإنْ كانَ مَحْظُوراً عليه مَكَاسِبُهْ
يَشِينُ الفَتَى في النَّاس قِلَّةُ عَقْلِه ... وإنْ كَرُمَتْ أعْرَاقُهُ ومَنَاسِبُه
يعيشُ الفَتَى في النَّاس بالعقل إنَّهُ ... عَلَى العَقْلِ يجري عِلْمُهُ وتَجَارِبُه
وأفْضَلُ قَسْمِ الله للمَرْء عَقْلُهُ ... فَلَيْسَ مِنَ الأشياء شيءٌ يُقَارِبُهْ
إذا أكْمَلَ الرَّحْمَن للمَرْءِ عَقْلَهُ ... فقدْ كَمُلَتْ أخْلاقُهُ ومآرِبُهْ.

٤ - ومن الناس من يتكبَّر بعلمه، وهذا أجدر به أن يسمىٰ جاهلاً؛ لأن العلم إن لم يزد صاحبه تواضعًا وخشية، فليس بعلم نافع.

فالعلم عِلْمان: علم علىٰ اللسان، وعلم في القلب

فالعلم الذي علىٰ اللسان هو حجة الله علىٰ خلقه.

وأما العلم الذي في القلب فهو الخشية.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان! ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»(١).

وكيف يسمىٰ الرجل عالمًا وبه آفة الكبر؟!

يا أيُّها الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غيره ... هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَان ذا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السِّقام وذي الضنى ... كيْما يَصِحُّ بِهِ فأَنْتَ سَقِيمُ

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٣١ - فتح) ومسلم (١٨/ ١١٨ - نووي).

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهيتَ عنه وأنتَ حكيمُ
فهناكَ تُعْذَرُ إنْ وَعَظْتَ ... ويُقْتَدى بالقَوْلِ منكَ ويُقْبَلُ التَّعليمُ
لا تَنْهَ عنْ خُلُقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عارٌ عليكَ إذا فَعَلْتَ عظيمُ

٥ ـ ومن الناس من يتكبَّر بجماله وحسن صورته، وهذا أكثر ما يكون في النساء، ولو عقلت المتكبرة بجمالها؛ لعلمت أن الجمال من نصيب الدود، ولو تخيلت صورتها في القبر بعدما أكل الدود لحومها وعينها ومنخرها، لرأت منظرًا مرعبًا مخيفًا، بل إن هذا الجمال في الدنيا معرض للآفات والأمراض، فكم من مرض ترك الجميلة شوهاء والفاتنة نكراء، فينفر منها الناس بعدما كانوا يتلهفون على رؤيتها.

يا مُظهراً للكِبْرِ إعجابًا بصورته ... انظر خلاكَ فإنَّ النَّتْنَ تثريبُ
لو فكَّرَ الناسُ فيما في بُطونِهِمُ ... ما استَشْعَرَ الكِبْرَ شبانٌ لا شيبُ
هل في ابنِ آدمَ مثلُ الرأسِ مكْرُمَةً ... وَهُوَ بخَمْسٍ منَ الأقْذَارِ مَضْروبُ
أنفٌ يسيلُ وأُذْنٌ ريحُها سهكٌ ... والعينُ مُرْفَضَّةٌ والثَّغْرُ مَلْعوبُ
يا ابنَ التُّرابِ ومأكولَ التُّرابِ ... غداً أقْصِرْ فإنَّكَ مأكولٌ ومشروبٌ

* * *

فضل التواضع:

قال تعالىٰ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

أي: ألن لهم القول وارفق بهم.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

أي: رحماء بالمؤمنينَ متواضعين لهم.

قال عمر رضي الله عنه: «إن العبد إذا تواضع لله، رفع الله حكمته، وقال: انتعش رفعك الله، وإذا تكبر وعدا طوره، رهصه الله في الأرض، وقال: اخسأ خسأك الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير، حتىٰ إنه لأحقر عندهم من الخنزير».

وقال جرير بن عبد الله: «انتهيت مرة إلىٰ شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد تجاوزت الشمس النطع، فسويته عليه، ثم إن الرجل استيقظ، فإذا هو سلمان الفارسي رضي الله عنه، فذكرت له ما صنعت، فقال: يا جرير! تواضع لله في الدنيا، فإنه مَنْ تواضع لله في الدنيا، رفعه الله يوم القيامة، يا جرير! أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة؟ قلت: لا. قال: إنه ظلم الناس بعضهم بعضًا في الدنيا».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات: التواضع»

وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع: «أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبيٍ قبلته ولو سمعته من أجهل الناس، قبلته».

وقال ابن المبارك: «رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونكَ في نعمة

الدنيا حتىٰ تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتىٰ تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل».

وقال قتادة: «من أعطي مالاً، أو جمالاً، أو ثيابًا، أو علمًا، ثم لم يتواضع فيه؛ كان عليه وبالاً يوم القيامة».

وقيل لعبد الملك بن مروان: أي الرجل أفضل؟ قال: «من تواضع عن قدرة، وزهد عن رغبة، وترك النصرة عن قوة».

وقال الحسن: «التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقىٰ مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلاً».

وقيل: «أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه، وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه».

وقيل أيضًا: «لا عز إلا لمن تذلل لله عزَّ وجلَّ، ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عزَّ وجلَّ، ولا أمن إلا لمن خاف الله عزَّ وجلَّ، ولا ربح إلا لمن باع نفسه لله عزَّ وجلَّ».

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «وجدنا الكرم في التقوىٰ والغنىٰ في اليقين، والشرف في التواضع».

* أمثلة من تواضع النبي ﷺ:

لقد ضرب لنا النبي ﷺ المثل الأعلىٰ في التواضع:

وكيف لا وهو الذي زكَّاه الله بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

وقال له أيضًا: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

بل كان رحيم القلب، خافض الجناح، لين الجانب.

فمن مظاهر تواضعه ﷺ: أنه كان إذا مرَّ بصبيان صغار يلعبون؛ سلم عليهم[١].

ولقد بلغ التواضع بالنبي ﷺ أنه كان يعاون أهله في عمل البيت:

فعن الأسود بن يزيد؛ قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إليها»[٢].

ولقد كان التواضع ظاهراً في كل أفعال النبي ﷺ، حتىٰ في طعامه وشرابه:

فكان ﷺ إذا أكل، لعق أصابعه الثلاث[٣].

وقال ﷺ: «**إذا سقطت لقمة أحدكم، فليمط عنها الأذى، وليأكلها ولا يدعها للشيطان**»[٤].

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يجيب الدعوة إلىٰ الطعام، ولو كان قليلاً وكان يقبل الهدية، وإن كانت شيئًا مستصغرًا في نظر الناس:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ؛ قال: «**لو دعيت إلى كراع[٥] لأجبت، أو ذراع، ولو أهدي إليَّ ذراع أو كراع، لقبلت**»[٦].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة! لو شئت لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملك، إن حجزته لتساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن شئت نبيًا عبدًا وإن شئت نبيًا**

---

(١) متفق عليه عن أنس.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم (١٣/ ٢٠٤ ـ نووي).

(٤) رواه مسلم (١٣/ ٢٠٥ ـ نووي).

(٥) (الكراع): هو جزء من الحيوان لا يكون فيه لحم كثير، وهو ما بين الركبة والساق.

(٦) رواه البخاري.

ملكًا» قال: «**فنظرت إلى جبريل**» قال: «**فأشار إليَّ أن ضع نفسك**». قال: «**فقلت: نبيًا عبدًا» فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئًا؛ يقول: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**»(١) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه؛ قال: «كان حديث رسول الله القرآن، يكثر الذكر، ويقصر الخطبة، ويطيل الصلاة، ولا يأنف ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين والضعيف حتىٰ يفرغ من حاجته»(٢) .

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يرتدف علىٰ الدابة في وقت كان الناس يأنفون من ذلك .

فعن معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ علىٰ حمار يقال له: عفير فقال: «**يا معاذ! هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. **قال:« فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**» فقلت يا رسول الله! أفلا أبشر به الناس؟ قال«**لا تبشرهم فيتكلوا**»(٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه؛ قال: «كان رسول الله يجلس علىٰ الأرض، ويأكل علىٰ الأرض، ويعقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك علىٰ خبز الشعير»(٤) .

وعن الحسين بن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ترفعوني فوق حقي؛ فإن الله تعالى اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني رسولاً**»(٥) .

---

(١) رواه أبو يعلي وإسناده حسن، قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٩).

(٢) رواه الطبراني، وإسناده حسن. قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٠).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٥٨ ـ فتح)، ومسلم (١/ ٢٣٢ ـ نووي).

(٤) رواه الطبراني، وإسناده حسن. قاله الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٠).

(٥) رواه الطبراني، وإسناده حسن، قاله الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢١).

وعن عمر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**لا تطروني[١] كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[٢].

* أمثلة من تواضع الصحابة رضي الله عنهم:

عن عمر المخزومي قال: «نادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصلاة جامعة! فلما اجتمع الناس وكثروا، صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال: لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبض لي القبضة من التمر والزبيب فأظل يومي - وأي يوم - ثم نزل، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قمئت[٣] نفسك؟ فقال: ويحك يا ابن عوف! إني خلوت فحدثتني نفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك؟! فأردت أن أعرفها نفسها».

وعن الحسن رحمه الله قال: «خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم حار واضعًا بردائه على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام! احملني معك؛ فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين! قال: لا اركبْ وأركبُ أنا خلفك، تريد تحملني على المكان الوطيء وتركب أنت على الموضع الخشن! فركب خلف الغلام، فدخل المدينة وهو خلفه والناس ينظرون إليه».

وعن سان بن سلمة الهذلي قال: «خرجت مع الغلمان ونحن بالمدينة نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه الدرة، فلما رآه الغلمان تفرقوا

---

(١) (الإطراء): مجاوزة الحد في المدح.

(٢) متفق عليه.

(٣) (قمئت): عبت

في النخل» قال: «وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته فقلت: يا أمير المؤمنين! هذا ما تلقي الريح» قال: «فنظر إليه في إزاري، فلم يضربني، فقلت: يا أمير المؤمنين! الغلمان الآن بين يدي وسيأخذون ما معي. قال: كلا امش» قال: «فجاء معي إلىٰ أهلي».

وعن عبد الله الرومي؛ قال: «كان عثمان رضي الله عنه يلي وضوء الليل بنفسه، فقيل: لو أمرت بعض الخدم فكفوك، فقال: لا، إن الليل لهم يستر حون فيه».

وعن الحسن؛ قال: «رأيت عثمان رضي الله عنه نائمًا في المسجد في ملحفة، ليس حوله أحد، وهو أمير المؤمنين».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»: «أن عليًا رضي الله عنه اشترىٰ تمرًا بدرهم، فحمله في ملحفته، فقال له رجل: أحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، أبو العيال حق أن يحمل».

وعن جرموز قال: «رأيت عليًا رضي الله عنه وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان[1] *إزار إلىٰ نصف الساق، ورداء مشمر قريب منه، ومعه درة له،* يمشي بها في الأسواق، ويأمرهم بالتقوىٰ وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكيل والميزان».

وأخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن سلام: أنه مرَّ في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: ما يحملك علىٰ هذا وقد أغناك الله عن هذا؟ قال: أردت أن أدفع الكبر؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من كبر**»[2].

---

(١) (قطريتان)، نوع من الثياب الخشنة.

(٢) راجع: «حياة الصحابة» (٢/ ٥٥٨).

وعن ثابت بن أبي مـالك؛ قـال: «رأيت أبا هريرة رضي الله عنه أقبل م
السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطري
للأمير يا ابن مالك!».

هكذا كـان حـال الجيل الذي تربَّىٰ في المدرسة المحمـديَّة، تربوا علىٰ ي
الرسول ﷺ، ورحم الله الإمام مالك حيث قال: «لا يصلح آخر هذه الأمة إ
بما صلح به أولها»، فمن أراد الصلاح والفلاح؛ فعليه بالاقتداء برسول الله ﷺ
والاقتباس من السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومَن نهج واقتف
آثارهم، لأنهم كانوا إسلامًا يمشي علىٰ الأرض، كما كان معلمه
وإمامهم ﷺ قرآنًا يمشي علىٰ الأرض.

❋ ❋ ❋

الصفة الثانية

الحلم

قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أي: إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء؛ لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلاَّ خيراً؛ كما كان رسول الله ﷺ، لا تزيده شدَّة الجاهل عليه إلا حلمًا» اهـ[١].

والحلم: هو ضبط النفس عن هيجان الغضب.

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

الأحاديث في فضل الحلم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: **«إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»**[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»**[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٢٥).

(٢) رواه مسلم (١/ ١٨٩ - نووي)، والترمذي (٣/ ٣٤٧).

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٤٤٩ - فتح).

وعنها: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه**»(١).

وعنها: أن النبي ﷺ قال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»(٢).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يحرم الرفق؛ يحرم الخير كله**»(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمن حرم عليه النار؟(أو: بمن تحرم عليه النار؟) تحرم على كل قريب هين لين سهل**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصِلُهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال النبي ﷺ: «**لئن كنت كما قلت؛ فكأنما تسفُّهم الملّ**(٥)، **ولا يزال معك من الله تعالى ظهير**(٦) **عليهم ما دمت على ذلك**»(٧).

ولقد بيَّن لنا النبي ﷺ أن القوة المعتبرة ليست هي القوة البدنية التي بها يغلب الرجل الناس، إنما هي القوة الإيمانية التي بها يضبط الإنسان نفسه ويتحكم في تصرفاته عند هيجان نار الغضب في قلبه.

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ١٤٦ - نووي).

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٤٧ - نووي).

(٣) رواه مسلم (١٦/ ١٤٠ - نووي).

(٤) رواه الترمذي، وقال: «حسن غريب». (٣/ ٦٦).

(٥) (تسفهم المل): تجعلهم يأكلون الرماد الحار.

(٦) (ظهير): معين.

(٧) رواه مسلم: (١٦/ ١١٥ - نووي).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصُّرعة**[١] ، **إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[٢] .

ثم إن الرجل المؤمن إذا جهل عليه جاهل أو سفه عليه سفيه أو سابَّه سابٌّ، فأعرض عنه؛ فإن الله يؤيده بملك يدافع عنه ويرد بدلاً منه؛ لأن الله قد أخذ على نفسه عهدًا ليدافعنَّ عن الَّذين آمنوا، فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحج: ٣٨] .

وعن النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه؛ قال: سبَّ رجل رجلاً عند رسول الله ﷺ، فجعل المسبوب يقول: عليك السلام، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إن ملكًا بينكما يذب عنك، كلما شتمك هذا، قال له: بل أنت، وأنت أحق به. وإذا قلت له: وعليك السلام، قال: لا، بل عليك، وأنت أحق به**»[٣] .

ولقد حثَّ النبي ﷺ على العفو والصفح .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! كم أعفو عن الخادم؟ فصمت عنه النبي ﷺ، ثم قال: يا رسول الله! كم أعفو عن الخادم؟ قال: «**كل يوم سبعين مرة**»[٤] .

وعن أبي الأحوص عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله! الرجل أمرُّ به فلا يقريني ولا يضيفني، فيمر بي أفأجزيه؟ قال: «**لا؛ أقره**»[٥][٦] .

هكذا كان النبي ﷺ يعلمهم أن يجازوا المسيء بالإحسان، والقاطع بالصلة،

---

(١) (الصرعة): الذي يصرع الناس ويغلبهم .

(٢) رواه: البخاري (١٠/ ٥١٢ - فتح)، ومسلم (١٦/ ١٦٢ - نووي) .

(٣) رواه أحمد، وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٢٥): «إسناده حسن» .

(٤) رواه الترمذي، وقال: «حسن غريب» (٣/ ٢٢٦) .

(٥) (أقره): أضفه، و (القرى): الضيافة

(٦) رواه الترمذي، وقال: «حسن صحيح» (٣/ ٢٤٦) .

والمانع بالإعطاء، وأن يعلقوا آمالهم برب الأرض والسماء، فهو الذي يملك الجزاء، وبيده العطاء.

كان دائمًا يزهدهم في النفع الدنيوي، ويرغبهم في النفع الأخروي.

فعن معاذ بن أنس الجهني عن النبي ﷺ قال: «**من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي الحور شاء**»[1].

الآثار في فضل الحلم:

قال عمر رضي الله عنه: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم».

وقال علي رضي الله عنه: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكنَّ الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت؛ حمدت الله تعالى، وإذا أسأت، استغفرت الله تعالى».

وقال الحسن: «أطلبوا العلم، وزيِّنوه بالوقار والحلم».

وقال معاوية رحمه الله: «لا يبلغ العبد مبلغ الرأي، حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم».

وقال معاوية لعمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع؟ «قال: من ردَّ جهله علمه. قال: أي الرجال أسخى؟ قال: من بذل دنياه لصلاح دينه».

وقال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾: «هو الرجل يشتمه أخوه، فيقول: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقًا؛ فغفر الله لي».

وقال معاوية لعرابة بن أوس: «بم سدت قومك؟ قال: يا أمير المؤمنين! كنت

---

(١) رواه الترمذي، وقال: «حسن غريب» (٣/ ٢٥١).

حلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعىٰ في حوائجهم».

وقيل: «العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والرفق والده، واللين أخوه، والصبر مرشده».

وقال وهب بن منبه: «من يرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يجهل يغلب، ومن يعمل يخطئ، ومن يحرص علىٰ الشر لا يَسْلم، ومن لا يدع المراء يُشْتم، ومن لا يكره الشر يأثم، ومن يكره الشر يُعصم، ومن يتبع وصية الله يحفظ، ومن يحذر الله يأمن، ومن يتول الله يمنع، ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن يأمن مكر الله يُخذل، ومن يستعن بالله يظفر».

وقال بعضهم:

أحبُّ مَكارِمَ الأخلاقِ جَهْدي ... وأكْرَهُ أنْ أعيبَ وأنْ أعابا

وأصْفَحُ عنْ سبابِ الناسِ حِلْمًا ... وشرُّ الناسِ مَنْ يَهْوى السِّبابا

ومَنْ هابَ الرِّجالَ تَهَيَّبوهُ ... ومَنْ حَقَرَ الرِّجالَ فلنْ يُهابا

الأسباب الباعثة على الحلم[1]:

يقول الماورديُّ: «الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب؛ لما فيه من سلام العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد».

١ ـ ومن أسبابه الباعثة عليه: الرحمة للجهال، وذلك من خير يوافق رقة.

وقد قيل في «منثور الحكم»: «من أوكد أسباب الحلم الرحمة للجهال».

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لرجل أسمعه كلامًا: «يا هذا! لا تغتر في سبنا، ودع للصلح موضعًا؛ فإنا لا نكافئ من عصىٰ الله فينا بأكثر من أن نطيع

(١) راجع: «أدب الدنيا والدين» (ص٢٢٥).

الله فيه» أهـ باختصار[١] . وهذه الرحمة وتلك الشفقة نابعتان من علم المؤمن بأن الذي يَؤُزُّ الجاهل ويسلطه بالسب والشتم هو الشيطان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣].

ولذلك أمرنا ربنا بأن لا نحرك ألسنتنا إلا بكل طيب، حتىٰ لا ندع فرصة للشيطان بالنزوغ بيننا، فقال: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

٢ ـ ومن أسباب الحلم أيضًا: الرغبة فيما عند الله من الثواب.

وقد مرَّ بنا قول النبي ﷺ: «**من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي الحور شاء**»[٢].

وإن المؤمن إذا طمع فيما عند الله احتقر الدنيا، وهان عليه ما فيها من سرور وحزن وغنىٰ وفقر، وهذا الطمع وتلك الرغبة يدفعانه إلىٰ مراقبة الله عزَّ وجلَّ في كل أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، فإذا غضب غضب لله، وإذا أحب أحب لله، وإذا أبغض أبغض لله وإذا أعطىٰ أعطىٰ لله وإذا منع منع لله، فهو محقق العبودية لله؛ لأنه يطمع فيما عند الله.

٣ ـ ومن أسبابه الترفع عن السباب والنطق بالألفاظ البذيئة.

وذلك من شرف النفس، وعلو الهمة؛ كما روي «أن المسيح عليه السلام مرَّ علىٰ قوم من اليهود، فقالوا له شرًّا، فقال لهم خيرًا، فقيل له: إنهم يقولون شرًّا وأنت تقول خيرًا؟! فقال: كل ينفق مما عنده».

٤ ـ ومن أسبابه: محبة امتثال أمره ﷺ حيث قال: «**من كان يؤمن بالله**

(١) راجع: «أدب الدنيا والدين» (ص٢٢٥).
(٢) رواه الترمذي، وقال: «حسن غريب» (٣/ ٢٥١).

يوم الآخـر، فليقل خيرًا أو ليـصمت»[١] .وإن هذا الصمت مؤلم للجاهل،

ما قيل:

لكفُّ عن شَتْمِ اللئيم تكرمًا أضرُّ لهُ من شَتْمِهِ حينَ يُشْتَمُ

وقيل أيضًا:

ا نطقَ السَّفيهُ فلا تُجِبْهُ فخَيْرٌ مِنْ إجابَتِهِ السُّكوتُ

كتُّ عنِ السَّفيهِ فَظَنَّ أني عَييتُ عنِ الجوابِ وما عَييتُ

وقال رجل لضرار بن القعقاع: والله لو قلت واحدة؛ لسمعت عشرًا فقال

ه ضرار: «والله لو قلت عشرًا؛ لم تسمع واحدة».

وقال بعضهم:

وفي الحلمِ رَدْعٌ للسَّفيهِ عنِ الأذى وفي الخُرْقِ[٢] إغراءٌ فلا تكُ أخْرَقا

فتَنْدَمَ إذْ لا يَنْفَعَنْكَ ندامةٌ كما ندمَ المَغْبونُ[٣] لَمّا تفرَّقا

«وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعامر بن مرة الزهري: من أحمق الناس؟ قال: من ظَنَّ أنه أعقل الناس. قال: صدقت. فمن أعقل الناس؟ قال: من لم يتجاوز الصمت في عقوبة الجهال».

٥ ـ ومن أسبابه الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة.

وقال بعض الحكماء: «احتمال السفيه خير من التحلي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته».

(١) رواه البخاري (١٠/ ٥٣٣ ـ فتح)، ومسلم (٢/ ١٨ ـ نووي) والترمذي (٤/ ٧٠).

(٢) (الخرق): الجهل.

(٣) (المغبون): المغلوب في البيع والشراء.

وقال بعضهم:

وإنْ تَكُ قد سابَبْتَني فقَهَرْتَني ... هنيئًا مريئًا أنتَ بالفُحْشِ أَحْذَقُ(١)

وقال الأحنف بن قيس: «ما عاداني أحد قط؛ إلا أخذت في أمره بإحدىٰ ثلاث خصال: إن كان أعلىٰ مني عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان نظيري تفضلت عليه».

فأخذه الخليل بن أحمد الفراهيدي، فنظمه شعرًا، فقال:

سأُلزِمُ نفسي الصَّفْحَ عن كلِّ مذنبٍ ... وإنْ كَثُرَتْ منهُ إليَّ الجرائمُ

فمَا الناسُ إلاَّ واحدٌ من ثلاثةٍ ... شريفٌ ومشروفٌ(٢) ومثلٌ مقاومُ(٣)

فأمَّا الذي فَوْقي فأعْرِفُ قَدْرَهُ ... وأتْبَعُ فيه الحَقَّ والحقُّ لازِمُ

وأمَّا الذي دوني فأَحْلَمُ دائبًا ... أصونُ به عِرْضي وإنْ لام لائِمُ

وأمَّا الذي مِثْلي فإنْ زَلَّ أو هفا ... تفضَّلْتُ إنَّ الفَضْلَ بالفَخْرِ حاكِمُ

واعلم أن الحلم لا يظهر إلا ساعة الغضب؛ كما قيل: «ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواضع: لا يعرف الجواد إلا في العسرة، والشجاع إلا في الحرب، والحليم إلا في الغضب».

وقال الشاعر:

لَيسَتِ الأحْلامُ في حالِ الرِّضى ... إنَّما الأحلامُ في حالِ الغَضَبْ

---

(١) (أحذق) أجدر. ومعنىٰ البيت: أي إن كانت شتمتني فأنت أهل لأن تخرج من فمك هذا الكلام البذئ.

(٢) (مشروف): وضيع.

(٣) (مقاوم): مكافئ، أي: مثلي في الشرف.

وقيل أيضًا:

ن يَدَّعي الحِلْمَ أغْضِـبْهُ لِتَعْرِفَهُ | لا يُعرَف الحلمُ إلاَّ ساعةَ الغَضَبِ

أمثلة من حلم النبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم حد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيته منه يوم العقبة إذ عرضت فسي[1] على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت أنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب[2]، فرفعت رأسي، إذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني قال: إن لله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال تأمره بما شئت، فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني إليك لتأمرني بأمرك؛ فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين»[3]. فقال النبي ‹: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم[4] من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[5].

هكذا كان يلاقي النبي ﷺ من الكفار في بداية دعوته، فكان يقابله بالحلم والصفح كما سلف بيانه، ولقد ظل الحلم رائده حتي بعد قيام الدولة لإسلامية وامتداد سلطانها، فكان يأتي الرجل من أجلاف البادية، فيغلظ رسول الله ﷺ القول: فيهمُّ الصحابة أن يقعوا به، فيمنعهم النبي ﷺ، ويقابل هذه الشدة باللين، والغلظة بالرحمة، والفظاظة بالحلم.

---

(١) (عرضت نفسي): عرضت دعوتي.

(٢) (قرن الثعالب) مكان بينه وبين مكة مسيرة يوم وليلة.

(٣) (الأخشبين): الجبلان المحيطان بمكة.

(٤) (من أصلابهم): من ذريتهم.

(٥) رواه البخاري (٦/ ٣١٢ ـ فتح)، ومسلم (١٢/ ١٥٤ ـ نووي)

فعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه[١] بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق[٢] النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: **«دعوه، وأريقوا على بوله سجلاً[٤] من ماء (أو ذنوبًا من ماء) فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»**[٥].

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم حُنَين آثر النبي ﷺ ناسًا، أعطى الأقرع بن حابس رضي الله عنه مئة من الابل، وأعطى عيينة رضي الله عنه مثل ذلك، وأعطى ناسًا، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله. فقلت: لأخبرنَّ النبي ﷺ: فقال: **«رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»**[٦].

ويتجلى حلم النبي ﷺ عندما تريد يهودية أن تسمّه، ثم يحضروها بين يديه، ويطلبون منه أن يأذن لهم في قتلها، فيأبى أن يقتلها أو يعاقبها.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك؟ قالت:

---

(١) (جبذة): جذبة.

(٢) (صفحة عاتق): الصفحة هي الجانب، والعاتق ما بين العنق والكتف.

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٣٧٥ ـ فتح)، ومسلم (٧/ ١٤٦ ـ نووي).

(٤) (سجلاً): هو الدلو الممتلئة بالماء.

(٥) رواه البخاري (١/ ٣٢٤ ـ فتح).

(٦) رواه البخاري

أردت لأقتلك، فقال: «ما كان الله ليسلطك عليَّ (أو قال على ذلك) قالوا: ألا تقتلها؟ قال: «لا» قال أنس: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، فقال: إن دوسًا قد عصت وأبت فادع الله عليهم فاستقبل القبلة رسول الله ﷺ ورفع يديه فقال الناس: هلكوا.

فقال: «**اللهم اهد دوسًا وائت بهم، اللهم اهد دوسًا وائت بهم، اللهم اهد دوسًا وائت بهم**»[٢].

* أمثلة من حلم الصحابة رضي الله عنهم:

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه رجلاً ميسور الحال، فكان ينفق على رجل من أقاربه يدعى مِسْطَح، فلما افترى المنافقون حادثة الإفك تكلم فيها مسْطَح، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، فنزل قول الله تعالى: ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[النور: ٢٢].

فقال أبو بكر: «لا؛ نحب أن يغفر الله لنا» وعاد إلى الإنفاق عليه[٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ـ وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا ـ فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي! لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه» قال ابن عباس: «فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٣٠ ـ فتح)، ومسلم (١٤/ ١٨٧ ـ نووي).
(٢) رواه البخاري (١١/ ١٩٦ ـ فتح).
(٣) رواه البخاري (٨/ ٤٥٥ ـ فتح) ومسلم (١٧/ ١١٣ ـ نووي).

قال: ها يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هَمَّ أن يوقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله عزَّ وجلَّ»[١].

***

(١) رواه البخاري (٨/ ٣٠٥ - فتح).

الصفة الثالثة

قيام الليل

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾

أي: يحبون الليل بالعبادة، فهم مستيقظون حيث ينام الناس، ومنتبهون حيث يغفل الناس؛ لأنهم أخلصوا الحب لله تبارك وتعالى فتلذذوا بمناجاته.

ولقد أحسن القائل فيهم:

امنعْ جُفونَكَ أنْ تذوقَ مَنامًا ... واذْرِ الدُّموعَ على الخُدود سِجاما

واعْلمْ بأنَّك مَيِّتٌ ومُحاسَبٌ ... يا مَنْ على سُخْط الجَليلِ أقاما

لله قَومٌ أخْلَصوا في حُبِّه ... فَرَضي بِهِمْ واخْتَصَّهُم خُدَّاما

قومٌ إذا جَنَّ الظَّلامُ عليهمُ ... باتوا هنالكَ سُجَّدًا وقِياما

خُمُصُ البُطونِ من التعفُّفِ ضُمَّرًا ... لا يعرِفونَ سوى الحلالِ طعاما

قال ابن عباس: «من صلىٰ ركعتين أو أكثر بعد العشاء، فقد بات لله ساجدًا أو قائمًا»[1].

ولقد وصف الله عباده المؤمنين بقيام الليل في أكثر من آية:

فقال سبحانه: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

---

(١) تفسير القرطبي» (١٣/ ٧٢).

الأحاديث في فضل قيام الليل:

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله! لا تكن مثل فلان، كان يقومُ الليلَ، فترك قيام الليل**»[١].

متفق عليه، أخرجه البخاري في (التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل، وباب من نام عند السحر) وفي (الصوم)، ومسلم في (الصيام، باب النهي عن صيام الدهر).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح؛ قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، (أو قال: في أذنه)».

متفق عليه[٢] أخرجه: البخاري في (التهجد: باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه) و(بدء الخلق، باب إبليس وجنوده)، ومسلم في (صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل، فارقد. فإذا استيقظ فذكر الله تعالى، انحلَّت عقدة، فإن توضأ، انحلت عقدة، فإن صلى: انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[٣]. متفق عليه. أخرجه البخاري في (التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس) و(بدء الخلق)، ومسلم في (صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع). (قافية الرأس): آخره.

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال. «**أيها الناس**

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٧ - فتح)، ومسلم (٨/ ٤٤ - نووي).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٣٥ - فتح) ومسلم (٦/ ٦٣ - نووي).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٣٣٥، ٣/ ٢٢٤ - فتح)، ومسلم (٦/ ٦٥ - نووي).

أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[١] .

رواه الترمذي في (أبواب صفة القيامة، باب أفشوا السلام وأطعموا الطعام، رقم ٢٤٨٧)، وقال: «حديث صحيح».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»[٢] .

رواه مسلم في (كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم).

وعن جابر رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**».

رواه مسلم في (صلاة المسافرين، باب أفضل الصلاة طول القنوت).

المراد بـ (القنوت): القيام[٣] .

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه أياه، وذلك كل ليلة**»[٤] .

رواه مسلم في (صلاة المسافرين، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلَّى، وأيقظ امرأته، فإن أبت، نضح في وجهها الماء، ورحم الله**

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٥).

(٢) رواه مسلم (٨/ ٥٤ ـ نووي).

(٣) رواه مسلم (٦/ ٣٥ ـ نووي).

(٤) رواه مسلم (٦/ ٣٥).

امرأة قامت من الليل فصلَّت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[١] .

قال النووي : (رواه أبو داود بإسناد صحيح في الصلاة، باب قيام الليل) .

وعن أبي سعيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا أيقظ الرجل أهله من الليل، فصليا (أو: صلى ركعتين جميعًا)؛ كتبا في الذاكرين والذاكرات»**[٢] .

قال النووي : «رواه أبو داود بإسناد صحيح في (الصلاة، باب قيام الليل)» .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال : **«في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها»فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناس نيام»**[٣] .

قال المنذري : «رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن» .

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال : **«أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟»**[٤] .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه : عن رسول الله ﷺ : **«عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإِثم»**.

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٣٣) بإسناد صحيح .
(٢) رواه أبو داود (٢/ ٣٣) بإسناد صحيح .
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد صحيح، قاله المنذري في «الترغيب» (٢/ ٢٤)، وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٥٤) .
(٤) رواه البخاري (٣/ ١٤ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ١٢٦ ـ نووي) .

قال الهيثمي في «المجمع»[١] : «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه بد الله بن صالح كاتب الليث، قال عبد الملك بن شعيب : كاتب الليث ثقة مون، وضعَّفه جماعة من الأئمة» أهـ.

قلت : منهم النسائي والإمام أحمد وابن خزيمة، ولكن وثَّقه آخرون مثل حيىٰ بن معين وابن عدي وأبو حاتم، وقال المنذري : «قد رویٰ عنه البخاري ي «صحيحه»[٢] ؛ فمثل هذا حديثه لا ينزل عن مرتبة الحسن - إن شاء الله -، لذلك حسنه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»[٣] .

والحديث قد رواه الطبراني في «الكبير» عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

وفيه عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون؛ قال الحافظ في «التقريب»[٤] : صدوق يخطئ» ومثل هذا حديثه حسن في الشواهد.

وللحديث طريق ثالثة عن بلال، ولا يصح، لأن فيه محمد بن سعيد شامي المصلوب، وهو كذاب وضَّاع، ولذلك رویٰ الترمذي (٥/ ٢١٣) حديث أبي أمامة هذا، وقال : «هذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال».

وعن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«فضل صلاة الليل لى صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية»**[٥] .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال : جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ، فقال : يا محمد ! عش ما شئت، فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، أحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّه

---

١) «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥١).
٢) «الترغيب» (٦/ ٣٤٨).
٣) «تخريج الإحياء» (٤/ ٦٣٤).
٤) «التقريب» (١/ ٤٨٢).
٥) قال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٢٨) : «رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن».

استغناؤه عن الناس»[١] .

وعن عمر وبن عَبَسة رضي الله عنه : أنه سمع النبي ﷺ يقول : «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»[٢] .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : «**ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة، قاتل وراءها بنفسه لله عزَّ وجلَّ، فإما أن يقتل، وإما أن ينصره الله عزَّ وجلَّ ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه، والذي له امرأة حسناء، وفراش لين حسن فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد. والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب، فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السحر في ضراء وسراء**»[٣] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»[٤] .

وعن يزيد بن الأخنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تنافس إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله قرآنًا، فهو يقوم به آناء الليل والنهار، فيقول رجل: لو أن الله أعطاني ما أعطى فلانًا، فأقوم به كما يقوم، ورجل أعطاه الله مالاً، فهو ينفق منه ويتصدق، فيقول رجل مثل ذلك**»[٥] .

---

(١) قال الحافظ المنذري في «الترغيب» (٢/ ٢٩) : «رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن» .

(٢) رواه الترمذي، وقال : «حسن صحيح غريب» .

(٣) قال الحافظ المنذري في «الترغيب» (٢/ ٣٣) : «رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن» .

(٤) رواه البخاري (٩/ ٧٣ ـ فتح) .

(٥) قال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٣٦) : «رواه الطبران في «الكبير» ورواته ثقات مشهورون» .
ورواه أبو يعلي من حديث أبي سعيد ونحوه بإسناد جيد .

وعن فضالة بن عبيد وتميم الداري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: **ن قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا ن يوم القيامة، يقول ربك عزَّ وجلَّ، اقرأ وارق بكل آية درجة، حتى ينتهي إلى ر آية معه، يقول الله عزَّ وجلَّ للعبد: اقبض. فيقول العبد بيده: يا رب! أنت لم، يقول: بهذه الخلد، وبهذه النعيم»**[١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ رأىٰ رؤيا قصَّها علىٰ رسول الله ﷺ، فتمنيت أن أرىٰ رؤيا أقصها علىٰ بي ﷺ. قال: وكنت غلامًا شابًا عزبًا، وكنت أنام في المسجد علىٰ عهد سول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلىٰ النار، فإذا ي مطوية كطيِّ البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، جعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، ل: فلقيهما ملك، فقال لي: لم ترع. فقصصتها علىٰ حفصة، فقصتها حفصة لىٰ رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: **«نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من يل»** قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلاَّ قليلاً[٢].

الآثار في فضل قيام الليل:

قال الحسن البصري رحمه الله: «ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة ذا المال» فقيل له: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: «لأنهم خلوا بالرحمن، فألبسهم نورًا من نوره».

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٦٧): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه إسماعيل بن عياش، ولكنه من روايته عن الشاميين، وهي مقبولة». قلت: قبلها أحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين والنسائي وغيرهم، كما قال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (١/ ٣٢١) وبهذا يكون الحديث حسنًا.

(٢) رواه: البخاري (٣/ ٦ ـ فتح) ومسلم (١٦/ ٣٨ ـ نووي).

وقال أيضًا: «إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل».

وقال الفضيل بن عياض: «إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم، وقد كثرت خطيئتك».

وقد روي أن مالك بن دينار بات يردد هذه الآية حتى أصبح: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال مالك بن دينار: «سهوت ليلة عن وردي ونمت، فإذا أنا في المنا[م] بجارية كأحسن ما يكون، وفي يدها رقعة، فقالت لي: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم. فدفعت إليَّ الرقعة، فإذا فيها:

أَأَلْهَتْكَ اللَّذَائِذُ والأَمَانِي ... عن البِيضِ الأَوانِسِ في الجِنا[ن]

تَعِيشُ مُخَلَّدًا لا مَوتَ فيها ... وتَلْهو في الجِنَانِ مع الحِسا[ن]

تَنَبَّهْ مِن مَنامِكَ إنَّ خيرًا ... مِنَ النَّوْمِ التَّهَجُّدُ بالقُرا[ن]

ويروى عن أزهر بن مغيث - وكان من القوامين - أنه قال: «**رأيت في المنا[م] امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها: من أنت؟ قالت: حوراء. فقلت: زوجيني نفسك؟ فقالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد**».

الأسباب الميسرة لقيام الليل(١):

اعلم أخي المسلم أن قيام الليل من أثقل الطاعات على النفوس إلا من يسَّر الله عليه، وهناك أمور لو تمسَّك بها الانسان؛ ليسَّرت عليه قيام الليل، وهذ[ه] الأمور تنقسم إلى قسمين: أمور ظاهرة، وأخرى باطنة:

---

(١) انظر «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٣٨) عن نظر في الكتاب ومخالفاته.

الأمور الظاهرة:

١ ـ أن لا يكثر الأكل، فيكثر الشرب فيغلبه النوم، ويثقل عليه القيام، وق
قيل: لا تأكل كثيراً فتشرب كثيراً فتنام كثيراً فتخسر كثيراً.

٢ ـ أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيىٰ بها الجوارح وتضعف
بها الأعصاب؛ فإن ذلك مجلبة للنوم.

٣ ـ ألا يترك القيلولة بالنهار، للاستعانة بها علىٰ قيام الليل.

٤ ـ أن يتجنب ارتكاب المعاصي، فإن ذلك مما يقسي القلب ويحول بين
وبين أسباب الرحمة.

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد! إني أبيت معافىٰ، وأحب قيا
الليل، وأعدُّ طهوري؛ فما بالي لا أقوم؟ فقال: «قيدتك ذنوبك».

هذه هي الأمور الظاهرة.

الأمور الباطنة:

١ ـ سلامة القلب عن الحقد علىٰ المسلمين، وعن البدع، وعن فضول
هموم الدنيا.

٢ ـ خوف غالب يلزم القلب، مع قصر الأمل، فإنه إذا تفكر في أهوال
لآخرة ودركات جهنم، طار نومه وعظم حذره:

وقد قيل:

نَعَ القُرانُ بِوَعْدِه وَوَعيدِه ... مُقَلَ العُيونِ بِلَيْلِها أَنْ تَهْجَعـ
ـهِمُوا عنِ المَلِكِ الجَليلِ كَلامَهُ ... فرِقابُهُمْ ذَلَّتْ إِليهِ تَخَضُّعـ

وقد قيل أيضًا:

إذا مـــا الليلُ أظلمَ كـــابَدوهُ فَـيُـسْـفِـرُ عنهُمُ وهُمُ رُكـوعُ
أطارَ الخوفُ نومَـهُم فـقـــاموا وأهـلُ الأرضُ في الدُّنيـا هُجوعُ

٣ ـ أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار ؛ فإن ذلك يدفعه على العمل ، وييسِّر عليه المشقة .

٤ ـ تذكر حلاوة المناجاة والوقوف بين يدي الله ، ولا يشعر بهذه الحلاوة وتلك اللذة ، إلا من أخلص الحب لله ، وجرَّد الاتباع لرسول الله ﷺ .

قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١][1] .

* * *

(١) راجع : رسالة «الأمور الميسرة لقيام الليل» للمؤلف .

الصفة الرابعة

الخوف من النار

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

قال القرطبي: «أي: هم مع طاعتهم مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله» أهـ[1].

فهذه صفة كل مؤمن، يجتهد في الطاعات ويخاف عذاب الله تبارك وتعالى كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧-٢٨].

وكيف لا يخافون عذاب الله وهو القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقال أيضًا: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٥-١٦].

ومن المعلوم أنه لا يسكن الخوفُ من النار قلبَ العبد إلا إذا تخيَّلها وتصوَّرها، ولا يتسنَّى له ذلك إلا بمعرفة الأخبار الواردة فيها، ولذلك سأسوق لك لقطات من وصف النار أجارنا الله منها بمنِّه وكرمه:

---

(١) تفسير القرطبي» (١٣/ ٧٢).

* أبواب النار:

قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجنة لها ثمانية أبواب، والنار لها سبعة أبواب»[١].

* شدة حرِّها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءًا من نار جهنم». قالوا، والله، إن كانت لكافية. قال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلهنَّ مثل حرِّها»[٢].

* لون جهنم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضَّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودَّت، فهي سوداء كالليل المظلم»[٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أترونها حمراء كناركم هذه؟! لهي أسود من القار»[٤].

* قعر جهنم:

عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان رضي الله عنه فقال: «إنه ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم، فيهوي فيها سبعين عامًا، ما يدرك لها قعرًا، والله لتملأنهُ، أفعجبتم؟!»[٥].

---

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٨١٢).
(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٣٠ - فتح)، ومسلم (١٧/ ١٧٩ - نووي).
(٣) رواه الترمذي (٤/ ١١١)، . وهو حسن.
(٤) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٤) بسند صحيح.
(٥) رواه مسلم (١٨/ ١٠٢ - نووي).

عن الحسن البصري رحمه الله، قال: «وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار؛ فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها الحديد»[١].

* سلاسل جهنم:

يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾ [الإنسان: ٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رصاصة مثل هذه (وأشار إلى مثل الجمجمة) أرسلت من السماء إلى الأرض (وهي مسيرة خمس مئة سنة) لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها**»[٢].

* شراب أهل النار:

قال تعالىٰ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧].

* طعام أهل النار:

قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ (٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦-٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن قطرة من**

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ١٠٤) بسند حسن.

(٢) رواه الترمذي (٤/ ١٠٩)، قال: «هذا حديث إسناده حسن صحيح».

الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟!»[(١)].

* غلظ أجسام أهل النار وقبح مناظرهم:

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣-١٠٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**ضرس الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث**»[(٢)].

وعنه أيضًا عن النبي ﷺ، قال: «**إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة**»[(٣)].

وعنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]: **تشويه النار، فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته**»[(٤)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: أجل والله، والله ما تدري، إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفًا تجري في أودية القيح والدم»[(٥)].

* أهون أهل النار عذابًا:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ١٠٧)، وقال: «حسن صحيح».
(٢) رواه مسلم (١٧/ ١٨٦ - نووي)، والترمذي (٤/ ١٠٤).
(٣) رواه الترمذي (٤/ ١٠٥)، وقال: «حسن غريب صحيح».
(٤) رواه الترمذي (٤/ ١٠٩)، وقال: «حسن غريب صحيح».
(٥) قال المنذري في «الترغيب» (٦/ ٢٦١): «رواه أحمد بإسناد صحيح».

«إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه»[١] .

❊ تفاوت درجات العذاب:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبته، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته»[٢] .

❊ غمسة في النار تنسي نعيم الدنيا:

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٦].

وعن أنس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم! هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب: ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مَرَّ بكَ مِن شدةٍ قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مرَّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[٣] .

❊ بكاء أهل النار وصراخهم:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا

(١) رواه البخاري (١١/ ٤١٧ ـ فتح)، ومسلم (٣/ ٨٥ ـ نووي).
(٢) رواه مسلم (١٧ ـ ١٨٠ ـ نووي).
(٣) رواه مسلم (١٧/ ١٤٩ ـ نووي).

﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧].

وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل النار ليبكونَ حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكونَ الدم (يعني: مكان الدمع)»[١].

* بعث النار:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك». قال: «يقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد» فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله! أيُّنا ذلك الرجل؟! فقال: «أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا، ومنكم رجل» قال: ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قال: فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال: «والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو الرقمة في ذراع الحمار»[٢].

* كلام النار يوم القيامة:

يقول تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

---

(١) رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني على شرط الشيخين في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٦٧٩).

(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٣٨ - فتح) ومسلم (٣/ ٩٧ - نووي).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين**»[1].

* ثياب أهل النار:

قال سبحانه: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

وقال سبحانه: ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠].

* عِظَم جهنم:

قال سبحانه: ﴿**إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ**﴾ [المرسلات: ٣٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالنار يوم القيامة، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، يجرونها**»[2].

* فضل الخوف من الله عزَّ وجلَّ:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ**﴾. [المؤمنون: ٥٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزَّ وجلَّ، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه**

---

(٢) رواه الترمذي (٤/ ١٠٣)، وقال: «حسن صحيح غريب».

(١) رواه: مسلم (١٧/ ١٧٩ - نووي)، والترمذي (٤/ ١٠٣).

وتفرقـا عليه، ورجل دعـته امـرأة ذات منصب وجمـال، فقال: إني أخـاف الله، ورجل ذكر الله خاليًا، ففاضت عيناه»[١] .

وعنه أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن إلى الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»[٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[٣] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله»[٤] .

* خوف النبي ﷺ:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن».

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذي (٣/ ٩٣)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٦/ ١٢).

(٣) رواه الترمذي، وقال: «حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق» اهـ.
قلت: وشعيب هذا صدوق يخطئ كما قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٣٥٢)، وفيه علة ثانية، وهي عنعنة عطاء الخراساني، وهو مدلس كما قال الحافظ أيضًا في «التقريب» (٢/ ٣٢).
ولكن للحديث شواهد يتقوىٰ بها:
منها: الحديث الذي مرَّ قبله.
ومنها: ما رواه أحمد والنسائي والحاكم عن أبي ريحانة: أن رسول الله ﷺ قال: «حرمت النار علىٰ عين دمعت أو بكت من خشية الله، وحرمت النار علىٰ عين سهرت في سبيل الله، وذكر عينًا ثالثة» وهو حسن.
وشاهد ثالث رواه أبو يعلي عن أنس بن مالك ورواته ثقات.
وشاهد رابع رواه الطبراني عن معاوية بن حيدة، وفي سنده أبو حبيب العنقري.

(٤) رواه الترمذي (٣/ ١٠٩)، وقال: «حسن غريب».

قلت: يا رسول الله ! أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء، حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. «قال حسبك الآن» فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان[١].

عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم حنين»[٢].

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»[٣].

* خوف الصحابة رضي الله عنهم:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: «إن الله عزَّ وجلَّ أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال: وسمَّاني؟ قال: «نعم». فبكىٰ أبيٌّ[٤].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه؛ قيل له في الصلاة قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن غلبه البكاء فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٢٥٠ ـ فتح)، ومسلم (٦/ ٨٧ ـ نووي).

(٢) رواه البخاري (٨/ ٢٨٠ ـ فتح)، ومسلم (١٥/ ١١١ ـ نووي).

(٣) رواه أبو داود (١/ ٢٣٨)، والترمذي في «الشمائل»، وقال النووي: «إسناده صحيح».

(٤) رواه البخاري (٧/ ١٢٧ ـ فتح)، ومسلم (٦/ ٨٥ ـ نووي).

(٥) رواه البخاري في «الصلاة»، ومسلم في (كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر).

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: «أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتِيَ بطعام، وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بُردة، إن غطي بها رأسه، بدت رجلاه، وإن غُطي بها رجلاه، بدت رأسه، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط (أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا) قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام»[1].

❊ ❊ ❊

(٥) رواه البخاري (٣/ ١٤١ ـ فتح).

الصفة الخامسة
التوسط في الإنفاق

يقول تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء علىٰ أهليهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا» اهـ[1].

وقال يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية: «أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا لا يأكلون طعامًا للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثيابًا للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم علىٰ عبادة ربهم، ومن اللباس ما يستر عورتهم ويكفهم من البرد والحر». اهـ[2].

وقال عمر لابنه عاصم: «يا بني! كل في نصف بطنك، ولا تطرح ثوبًا حتىٰ تستخلقه، ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم وعلىٰ ظُهورهم»[3] اهـ.

وقد قيل:

إذا أنت قد أعطيتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وفَرْجَكَ نالا مُنْتَهى الذَّمِّ أجمعا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٢٥).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٧٣).
(٣) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٧٤).

وقيل أيضًا:

إذا المَرْءُ أعطى نفسَهُ ما اشتَهتْ ... ولم يَنْهَها تاقتْ إلى كُلِّ باطِلِ
وساقَتْ إليهِ الإثْمَ والعارَ بالذي ... دَعَتْهُ إليه مِن حلاةِ عاجِلِ

فضل الإنفاق وذم البخل:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ [الليل: ٨-١١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦].

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»(١).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله ! ما منَّا أحد إلا ماله أحب إليه: قال: «فإن ماله ما قدَّم، ومال وارثه ما أخَّر»(٢).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلاّ سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٦٥ - فتح)، ومسلم (٦/ ٩٨ - نووي).
(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٦٠ - فتح).

قدم، وينظر أشأم منه؛ فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه؛ إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[٢].

وعنه أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «**قال تعالى: أنفق يا ابن آدم ينفق عليك**»[٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت ومن لم تعرف**»[٤].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن آدم! إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى**»[٥].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «**ما سئل رسول الله ‹ عن الإسلام شيئًا إلاَّ أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم! أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليُسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيراً حتي يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها**»[٦].

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٤٨ ـ فتح)، ومسلم (٧/ ١٠١ ـ نووي).
(٢) رواه البخاري (٣/ ٣٠٤ ـ فتح) ومسلم (٧/ ٩٥ ـ نووي).
(٣) رواه البخاري (١١/ ٣٥٢ ـ فتح)، ومسلم (٧/ ٧٩ ـ نووي).
(٤) رواه: البخاري (١/ ٥٥ ـ فتح) ومسلم (٢/ ٩ ـ نووي).
(٥) رواه مسلم (٧/ ١٢٦ ـ نووي).
(٦) رواه مسلم (١٥ / ٧٢ ـ نووي).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل»(١).

وعن عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد ظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلاَّ فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا؛ فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النيَّة، يقول: لو أن لي مالاً، لعملت بعمل فلان، فهو نيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علمًا، فهو يتخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا؛ فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً وعلمًا، فهو يقول: لو أن لي مالاً، لعملت فيه بعمل فلان؛ فهو نيته، فوزرهما سواء»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها: أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها؟» فقالت: «ما بقى منها إلا كتفها. قال: «بقي كلها غير كتفها»(٣).

ومعنى الحديث: أنهم تصدقوا بالشاة إلا كتفها، فبين النبي ﷺ أن الذي تصدقوا به هو الباقي في الآخرة، وأن الجزء الذي أكلوه (كتفها) هو الفاني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق

---

(١) رواه مسلم (١٦ / ١٤١ - نووي).

(٢) رواه الترمذي، وقال: «حسن صحيح».

(٣) رواه الترمذي، وقال: «حسن صحيح».

ـعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم ـربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه،[١] حتى تكون مثل الجبل»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «بينما رجل يمشي ـفلاة[٣]، من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة، اسق حديقة فلان! فتنحى ذلك ـسحاب، فأفرغ ماءه في حرة[٤]، فإذا شرجة[٥] من تلك الشراج قد استوعبت ـلك الماء كله، فتتبع الماء؛ فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال ـه: ما اسمك يا عبد الله؟ فقال: لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا ـي السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان؛ لاسمك؛ فما تصنع فيها؟ ـقال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ـلثًا، وأرد فيها ثلثًا»[٦].

وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ـظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك مَن كان قبلكم، حملهم على ـن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عاد بلالاً، فأخرج له صبراً من ـر، فقال: «ما هذا يا بلال؟» قال: ادخرته لك يا رسول الله! قال: «أما ـتخشى أن يجعل لك بخار من نار جهنم؟! انفق يا بلال، ولا تخشى من ذي ـالعرش إقلالاً»[٨].

---

(١) (الفلو): المهر.

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٨٧ ـ فتح)، ومسلم في (الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب).

(٣) (الفلاة): الصحراء.

(٤) (الحرة): الأرض الملبسة حجارة سوداء.

(٥) (الشرجة): الفتحة التي تجمع الماء.

(٦) رواه مسلم (١٨/ ١١٤ ـ نووي).

(٧) رواه مسلم (١٦/ ١٣٤ ـ نووي).

(٨) رواه: أبو يعلي، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بإسناد حسن، قاله المنذري في «الترغيب» (٢/ ١٨٣).

وعنه أيضًا رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من آتاه الله مالاً، فلم يؤد زكاته، مثل له شجاعًا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه - يعني: بشدقيه -، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك**»، ثم تلا النبي ﷺ: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾»(١).

ولقد بيَّن المولى تبارك وتعالى أن الفوز والفلاح في ترك البخل والشح، فقال: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩].

وعنه أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «**قال تعالى: يا عبدي! أنفق، أنفق عليك**»، وقال: «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما بيده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع**»(٢).

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**شر ما في الرجل: شح هالع، وجبن خالع**»(٣).

علاج البخل:

قال بعضهم: «اعلم أن البخل سببه حب المال، ولحب المال سببان:

أحدهما: حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال، مع طول الأمل، فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم، ربما أنه كان لا يبخل بماله، إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب، وإن كان قصير الأمل،

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٢٦٨ - فتح).

(٢) رواه البخاري (١٣/ ٣٩٣ - فتح)، ومسلم (٧/ ٨٠ - نووي).

(٣) رواه أبو داود (٣/ ١٢) بإسناد حسن.

ولكن إذا كان له أولاد، أقام الولد مقام طول الأمل، فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه، فيمسك المال لأجلهم، ولذلك قال النبي ﷺ: «**الولد مبخلة مجبنة محزنة**»[1] فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق، قوي البخل لا محالة.

السبب الثاني: أن يحب عين المال، فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف، وهو شيخ بلا ولد، ومعه أموال كثيرة، ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة، ولا بمداواة نفسه عند المرض، بل صار محبًا للدنانير، عاشقًا لها، يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها، فيكنزها تحت الأرض، وهو يعلم أنه يموت، فتضيع، أو يأخذها أعداؤه، ومع هذا، فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة، وهذا مرض للقلب عظيم، عسير العلاج، لا سيما في كبر السن، وهو مرض مزمن، لا يرجى علاجه، فإن الدنانير رسول يبلغ الحاجات، فصارت محبوبة لذلك، لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ، ثم قد تنسى الحاجات، ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه، وهو غاية الضلال، بل من رأى بينه وبين الحجر فرقًا فهو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة.

فهذه أسباب حب المال، إنما علاج كل علة بمضادة سببها، فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، وتعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم، وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه، وكم من ولد لم يرث من أبيه مالاً وحاله أحسن ممن ورث، وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده، ويريد أن

---

(١) قال في «أسنى المطالب» (٢٦٧): «ضعيف، فيه عطية العوفي، رواه ابن ماجه».

يترك ولده بخير، وينقلب هو إلىٰ شر، وأن ولده إن كان تقيًا صالحًا فالله كافية، وإن كان فاسقًا فيستعين بماله علىٰ المعصية، وترجع مظلمته إليه، ويعالج أيضًا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء، وما توعَّد الله به علىٰ البخل من العقاب العظيم.

ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء، ونفرة الطبع عنهم، واستقباحهم له، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره، ويستثقل كل بخيل من أصحابه، فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه.

فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم، فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة، هاجت رغبته في البذل إن كان غافلاً، فإن تحركت الشهوة، فينبغي أن يجيب الخاطر الأول، ولا يتوقف، فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه» اهـ[(١)] باختصار.

* ذم الإسراف والتبذير:

كما نهىٰ الله تبارك وتعالىٰ عن البخل والتقتير نهىٰ أيضًا عن الإسراف والتبذير.

ولذلك يقول ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٩].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «**يقول تعالى آمرًا بالاقتصاد في العيش، ذامًا للبخل، ناهيًا** عن السرف: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ**﴾ أي: لا تكن بخيلاً منوعًا لا تعطي أحدًا شيئًا. ﴿**وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ أي: ولا تسرف

---

(١) «الإحياء» (١٠/ ١٨٠٥).

في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ أي: فتقعد إن بخلت ملومًا يلومك الناس ويذمونك، وإن بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء حتىٰ ضعفت وعجزت عن السير» (١) باختصار.

ويقول ربنا عز وجلَّ: ﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

قال ابن مسعود: «التبذير: الإسراف في غير حق».

وقال قتادة: «التبذير: الإسراف في المعصية».

وقال مجاهد: «لو أنفق إنسان ماله كله في الحق، لم يكن مبذرًا، ولو أنفق مدًا في غير حق كان مبذرًا».

فالإسراف مذموم: سواء كان في المأكل والمشرب أو في اللباس أو في البناء أو في الأثاث أو في الكلام أو في الصمت أو في السهر أو في النوم أو في الجوع أو في الشبع أو في غيرها من الأمور.

وسنتناول نوعًا واحدًا من أنواع الإسراف بالشرح والتفصيل وهو:

الإسراف في الطعام:

يقول تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

ويقول النبي ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لُقَيمات يُقْمنَ صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(٢).

فالمؤمن يأكل في ثلث بطنه، ويترك الباقي للشرب والنفس، ثم إن المؤمن

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٧).
(٢) رواه أحمد وأهل السنن، وقال الترمذي «حديث حسن»، وابن ماجه (٢/ ١١١١).

قنوع، يتقوَّت بأقل الأشياء، فهو يختلف عن الكافر الذي يأكل ولا يشبع، ويأخذ ولا يقنع.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: أضاف رسول الله ﷺ ضيفًا كافرًا، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة، فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرىٰ، فشرب حلابها، ثم أخرىٰ، فشرب حلابها، حتىٰ شرب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة، فشرب حلابها، ثم أمر له بأخرىٰ، فلم يستتمه، فقال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن ليشرب في معيٍّ واحد والكافر يشرب في سبعة أمعاء**»[1].

وليس هذا خاصًّا بالشرب، بل هو عام في الأكل كله، ولذلك يقول النبي ﷺ: «**المسلم يأكل في معيٍّ واحد، والكافر في سبعة أمعاء**»[2].

فينبغي علىٰ المسلم ألا يشبع في الدنيا، لأنها ليست داره، ولا مستقره، وليؤخر اللذائذ والمتع للآخرة حيث جنة عرضها السماوات والأرض، أعدها الله نزلاً لعباده المتَّقين.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غدًا في الآخرة**»[3].

ولقد وضع لنا النبي ﷺ قاعدة نسير عليها في أمور حياتنا، فقال: «**كلوا، واشربوا، وتصدقوا؛ ما لم يخالطه إسراف ولا مخيلة**»[4].

وقال عمر بن الخطاب: «**إياكم والبطنة، فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات**».

---

(١) رواه مسلم (١٤/ ٢٥ ـ نووي).

(٢) رواه البخاري (٩/ ٥٣٦ ـ فتح)، ومسلم (٤/ ٢٤ ـ نووي).

(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن، قاله المنذري في «الترغيب» (٤/ ١٩٩).

(٤) رواه النسائي، وابن ماجه (٢/ ١١٩٢)، وهو حديث حسن.

وقال لقمان لأبنه: «يا بني! إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة، وخرست حكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة».

وقال أبو سليمان الداراني: «من شبع، دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة مناجاة، وتعذَّر عليه حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق؛ لأنه إذا شبع ن أن الخلق كلهم شباع، وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وإن سائر المؤمنين دورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل».

وقال نافع: «جاء رجل بجوارش إلىٰ ابن عمر رضي الله عنه، فقال: ما ذا؟ قال: شيء يهضم به الطعام. قال: ما أصنع به؟! إنه ليأتي عليَّ الشهر ما شبع فيه من الطعام».

وقال محمد بن واسع: «من قلَّ طعامه، فهم وأفهم، وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد».

وقال أبو عبيدة الخواص: «حتفك في شبعك، وحفظك في جوعك، إذا أنت شبعت ثقلت، فنمت؛ استمكن منك العدو، فجثم عليك».

وقال عمرو بن قيس: «إياكم والبطنة؛ فإنها تقسِّي القلب».

وقال الحسن: «كانت بلية أبيكم آدم عليه السلام أكلة، وهي بليتكم إلىٰ يوم القيامة».

وقد قيل: «إذا أردت أن يصحَّ جسمك ويقل نومك، فأقلل من الأكل».

وقال بشر: «ما ينبغي للرجل أن يشبع اليوم من الحلال؛ لأنه إذا شبع من الحلال دعته نفسه إلىٰ الحرام».

وقال إبراهيم بن أدهم: «من ضبط بطنه، ضبط دينه، ومن ملك جوعه، ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان،

والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح والمرح والضحك».

وروي: «أن إبليس لعنه الله قال ليحيىٰ عليه السلام: ربما شبعت فأثقلناك عن الصلاة. فقال: يحيىٰ: لله عليَّ ألاَّ أشبع أبدًا، فقال إبليس عليه لعنة الله: ولله عليَّ ألاَّ أنصح مسلمًا أبدًا».

وقال الشافعي: «الشبع يستثقل البدن، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة».

فمن الواجب علىٰ المسلم أن يكون في كل أموره وسطًا بين الإسراف والتبذير، والبخل والتقتير. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ولننتقل إلىٰ الصفة السادسة من صفات عباد الرحمن.

* * *

الصفة السادسة

إخلاص العبودية لله وحده

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾.

فعباد الرحمن يخلصون العبادة لله وحده، ولا يصرفون شيئًا منها لغيره، سواء كان ملكًا مقربًا، أو نبيًّا مرسلاً، أو عبدًا صالحًا.

ولكن ما العبادة؟

يقول ابن تيمية رحمه الله: «**العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**».

ولقد قسم العلماء العبادات إلىٰ أربعة أقسام.

١ ـ القسم الأول: العبادات البدنية: كالصلاة، والصيام، والركوع، والسجود، والاعتكاف، والحج، والطواف.

٢ ـ القسم الثاني: العبادات المالية، كالزكاة، والصدقة، والذبح، والنذر.

٣ ـ القسم الثالث: العبادات القلبية: كالخشوع، والخضوع، والذل، والانكسار، والإخبات، والمحبة، والتوكل، والإنابة، والاستعانة، والخوف، والرجاء، والتعظيم.

٤ ـ القسم الرابع: العبادات القولية: كالحلف، والاستغاثة، والاستعاذة، والدعاء، وتلاوة القرآن.

أولاً العبادات البدنية:

* الصلاة:

يجب أن تكون خالصة لله عزَّ وجلَّ، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ويدخل في هذا تحريم بناء المساجد على القبور أو الصلاة في المسجد المقبور فيه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد» قالت عائشة، فلولا ذاك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً**»[1].

ولقد جاء النهي الصريح من رسول الله ﷺ عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

فعن جندب بن عبد الله البجلي: أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء، وإني أبرأ إلى الله أن يكون لي فيكم خليل، وإن الله عزَّ وجلَّ قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[2].

ولقد سمى النبي ﷺ من يتخذ القبور مساجد شرار الخلق.

---

(١) رواه: البخاري (٣/ ٢٥٥- فتح)، ومسلم (٥/ ١٢- نووي).
(٢) رواه مسلم (٥/ ١٣- نووي).

فعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من شرار الخلق من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد**»(١).

ولذلك قال العلماء بتحريم الصلاة في المساجد التي بها القبور.

يقول صاحب كتاب «الزواجر»: «قال بعض الحنابلة: قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركًا به عين المحادة لله ورسوله، وابتداع دين لم يأذن به الله؛ للنهي عنها ثم إجماعاً، فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها، ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضرار، لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ، لأنه نهى عن ذلك، وأمر بهدم القبور المشرفة»(٢).

وقال القرطبي في «تفسيره»: «قال علماؤنا: يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»(٣).

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هل تصح الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر والناس تجتمع فيه لصلاتي الجماعة والجمعة أم لا؟ وهل يمهد القبر أو يعمل عليه حاجز أو حائط؟

فأجاب: (الحمد لله، اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد على قبر، لأن النبي ﷺ قال: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**».

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن، قاله الهيثمي، في «المجمع» (٢/ ٧٢)، وحسنه الألباني في «تحذير الساجد».

(٢) نقلاً عن «تحذير الساجد» (٥٠).

(٣) نقلاً عن «تحذير الساجد» (٥٨).

وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن؛ غُيِّر إ
بتسوية القبر، وإما بنبشه إن كان جديداً، وإن كان المسجد بني بعد القبر؛ فإ
أن يزال المسجد، وأما أن تزال صورة القبر؛ فالمسجد الذي على القبر لا يصل
فيه فرض ولا نفل؛ فإنه منهي عنه) اهـ[١].

ويدخل في هذا أيضًا: النهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة[٢]: وقـ
طلوع الشمس، ووقت غروبها، ووقت استوائها في وسط السماء.

فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، قال: قلت: يا نبي الله! أخبرني عن
الصلاة. قال: «صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر[٣]، عن الصلاة حتى تطل
الشمس وترتفع؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ث
صلِّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن
الصلاة؛ فإنه حينئذ تسجر[٤] جهنم، فإذا أقبل الفيء؛ فصلِّ فإن الصلا
مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر الصلاة حتى تغرب الشمس
فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار»[٥].

* الصيام:

والصيام عبادة بدنية، يجب أن يصرف لله وحده، ولا يصرف منها شي
لغير الله، كبعض الصوفية الذين يأمرهم مشايخهم بالامتناع عن الطعام عد
أيام فيطيعونهم، أو يأمرونهم بأكل الخبز والملح لمدة أربعين يومًا، أو غير ذلك،
فيمتنعون؛ إرضاءً لمشايخهم، وتلبية لأمرهم، وتعظيمًا لشأنهم.

---

(١) نقلاً عن «تحذير الساجد» (٦٤).

(٢) راجع «فقه السنة» (١/ ٩١).

(٣) (أقصر): كف.

(٤) (تسجر): يوقد عليها.

(٥) رواه مسلم.

❋ الركوع:

هو الانحناء بنية التعظيم، وهو من العبادات التي يجب أن تكون لله وحده، فمن حنىٰ ظهره لملك أو لرئيس أو لوزير أو لقائد أو غير ذلك بنية تعظيمه، فهذا ركوع لغير الله، ولا يجوز، وهذا للأسف منتشر في الدوائر الحكومية في بعض البلدان.

فيجب أن يعلم هؤلاء أن هذا حق خالص لله، ولا يجوز لغيره.

قال تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الحج: ٧٧].

❋ السجود:

وهو وضع الجبهة علىٰ الأرض بنية تعظيم المسجود له، وإذا أردت أن ترىٰ من يسجد لغير الله ممن ينتسبون إلىٰ الإسلام، فاذهب إلىٰ أي ضريح من الأضرحة المعظمة، فستجد كثيراً من الجهلة يسجدون ويقبلون الأعتاب، ويبكون عليها، ويضعون خدودهم علىٰ حديد القبر؛ مستجيرين بصاحب القبر، هذا هو عين الشرك الأكبر الجلي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فنسأل الله لنا ولهم الهداية.

❋ الاعتكاف:

وهو لزوم الشيء والانقطاع له، ولو مدة يسيرة، وهذا أيضًا عبادة يجب أن تكون لله، وفي مسجد من مساجد الله، وبنية التقرب إلىٰ الله.

ولكنك ترىٰ من يقطع نفسه شهراً أو سنة لخدمة قبر ولي يجمع له النذور ويكنس حوله ويرش الماء وغير ذلك، ويظن أنه مقيم علىٰ طاعة وهو في الحقيقة عاص لله، مُعين علىٰ معصية الله.

وترىٰ أيضًا من يقطع نفسه أسبوعًا في مولد البدوي أو الدسوقي أو الحسين أو غيرها من الموالد المبتدعة؛ يطعم الناس ويسقيهم خدمة للبدوي وتبركًا به. فهذا العمل وأشباهه لا يجوز.

* الحج:

وهو قصد مكة لأداء مناسك الحج بقصد التقرب إلىٰ الله.

ولكنك ترىٰ كثيرًا من جهلة المتصوفة يقصدون قبور الأولياء والصالحين كل عام، ويطوفون حولها، ويعظمون من شأنها، بل ويفترون علىٰ الله الكذب ويقولون: «من زار قبر ولي سبع مرات، كتبت له حجة مبرورة» سبحانك هذا بهتان عظيم!.

* الطواف:

وهو عبادة يجب أن تكون لله وحده، وحول كعبة الله.

قال تعالىٰ: ﴿ **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج: ٢٩].

ثانيًا العبادات المالية:

* الزكاة والصدقة:

هذه عبادة يجب أن تكون خالصة لله عزَّ وجلَّ، منزهة عن الشرك.

قال تعالىٰ: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾.

قال سبحانه: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾.

* الذبح:

كغيره من العبادات يجب أن يكون لله وحده، فالذبح للأولياء والصالحين شرك ولا يجوز، وكذلك الذبح للجن؛ فمن الناس من يذهب بالمريض إلىٰ

رجال أو ساحر، فيطلب الساحر منه دجاجة بيضاء خالصة، أو حمامة سوداء بهيمية، أو غير ذلك، ثم يذبحها بدون أن يذكر الله، ثم يأمره بأن يرميها في بئر أو عين أو نهر أو في مكان خرب، ويأمره ألا يذكر اسم الله عند الرمي، وهذا واضح؛ لأنه لو ذكر عند الذبح أو عند الرمي، لا تستطيع الشياطين أن تأكل منه.

ولاحظ أن هذه الأماكن مأوىٰ الشياطين، فهذا الذبح لا يجوز، وهو شرك؛ لأنه ذبح لغير الله، وفاعله ملعون، لقول النبي ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(١).

وقد أمر الله بإخلاص الذبح له وحده، فقال: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وروىٰ الإمام أحمد عن طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل رجل النار في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرِّب. فقال: ليس عندي شيء أقرِّب. قالوا قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّب. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا من دون الله عزَّ وجلَّ فضربوا عنقه، فدخل الجنة**».

* النذر:

يقول الله تعالىٰ: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ**﴾ [البقرة: ٢٧٠]

---

(١) رواه مسلم.

وقال سبحانه عن المؤمنين: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان: ٧]

وأخبر سبحانه عن أم مريم أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

فلا يجوز النذر لغير الله، سواء كان نبيًّا مرسلاً، أو ملكًا مقربًا، أو وليًّ صالحًا، ومن نذر لغير الله، لا يجب عليه الوفاء، بل يجب عليه أن يتوب ويستغفر ويرجع إلى الله.

فعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الل فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»[١].

وهذا نذر معصية؛ فلا يجوز الوفاء به.

ثالثًا العبادات القلبية:

* الخشوع والخضوع:

وهما من العبادات القلبية التي يجب ألا تصرف إلا لله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال سبحانه: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال ابن منظور: «(خشع): رمى بصره نحو الأرض، وغضَّه، وخفض صوته، والخضوع: هو التواضع والتطامن، وقيل: الخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البدن والصوت»[٢] اهـ.

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٥٨١ ـ فتح)، وأبو داود (٣/ ٢٣٢)، والترمذي (٣/ ١٤)، والنسائي (٧/ ١٧)، وابن ماجه (١/ ٦٨٧) والدارمي (٢/ ١٨٤)، ومالك (٢/ ٤٧٦).

(٢) «اللسان» (٢/ ١١٦٥، ١١٨٧).

* الذل والانكسار:

اعلم أخي المسلم أن الذل لله عزة، والتواضع لله رفعة، واعلم ان شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن الناس، فلتكن بما في يد الله أوثق مما في يدك، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨]؛ فلا تذل نفسك إلا لله، ولا تحني جبهتك لسواه.

* الإخبات:

قال في «اللسان»: «(أخبت إلىٰ ربه)، أي: اطمأن إليه»[١].

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [هود: ٢٣].

وقال أيضًا: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤].

وقال أيضًا: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج: ٣٤].

* المحبة:

قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يذكر الله تعالىٰ حال المشركين به في الدنيا وحالهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أندادًا، أي: أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كمحبةِ الله، وهو الله لا إله إلاّ هو، ولا ضد له، ولا ندّ، ولا شريك معه.

---

(١) «اللسان»: (٢/ ١٠٨٧).

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود، قال: قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك».

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] ولحبهم له وتما معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أموركم إليه»[١] اهـ.

ويقول الشيخ حافظ حكمي عن هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]: «أخبرنا الله عزَّ وجلَّ أن عباده المؤمنين أشد حبًّا له، وذلك؛ لأنه لم يشركوا معه في محبته أحدًا كما فعل مدَّعو محبته من المشركين، الذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه: تقديم محاب وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله، واقتفاء أثره، وقبول هداه.

وكل هذه العلامات شروط في المحبة، لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٣].

فكل من عبد مع الله غيره؛ فهو في الحقيقة عبد لهواه» اهـ[٢]..

❊ علامات المحبة:

ولقد ذكر الله علامات من يحبهم ويحبونه في كتابه فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٠٢).

(٢) «معارج القبول» (١/ ٣١٣).

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

فقد ذكر لهم أربع علامات:

الأولى: أذلة على المؤمنين أي: رحماء بهم مشفقين عليهم.

الثانية: أعزة على الكافرين أي: أشداء عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال واليد واللسان.

الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، وذلك؛ لأن محب الله تبارك وتعالى لابدَّ أن يلاقي اللوم، بل والاستهزاء والسخرية، فمن ذاق محبة الله عزَّ وجلَّ، فلا يتأثر بذلك أو يتراجع عن الحق الذي هو متمسك به من أجل لوم اللائمين أو استهزاء المستهزئينَ، وعليه أن يثبت على الحق، ولا يستوحش من قلة السالكين، ولا يغتر بكثرة الهالكين.

* ما هي المحبة؟

اعلم أخي المسلم أن المحبة لا توصف، وإنما يعلم حقيقتها مَنْ ذاقها، وشعر بحلاوتها، فأنس بقرب ربه، فصفى قلبه، وزكت نفسه.

* الأسباب الجالبة لمحبة الله:

١ ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

٢ ـ التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض

٣ ـ دوام ذكره على كل حال بالقلب واللسان والعمل

٤ ـ إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى.

٥ ـ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفة آثارها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

٦ ـ مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

٧ ـ انكسار القلب بين يديه

٨ ـ الخلوة وقت النزول الإلهي[(١)] وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

٩ ـ مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

١٠ ـ مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عزَّ وجلَّ.

※ أقسام المحبة:

تنقسم المحبة إلىٰ خمسة أنواع:

القسم الأول: محبة الله:

وليس هناك طريق إلىٰ محبة الله إلا إتباع رسوله ﷺ:

قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾

[آل عمران: ٣١ـ٣٢].

وإنك لتجد كثيراً ممن يدعي محبة الله ثم لا يعمل بما يحبه ربنا ويرضاه، بل

---

(١) راجع كتاب «شرح حديث النزول» لابن تيمية.

بده يحاد الله ويعصيه، وهذا الصنف من الناس يوبخهم الشافعي رحمه الله
قوله:

صي الإلهَ وأنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ	هذا محالٌ في القياسِ بَديعُ
كانَ حُبُّكَ صادِقًا لأطَعْتَهُ	إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحبُّ مطيعُ[1]

* شروط محبة الله:

١ ـ طاعة أوامر الله.

٢ ـ الانتهاء عن نواهيه.

٣ ـ تصديق ما أخبر به الله. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٩٥]

٤ ـ حب ما يحب الله.

٥ ـ بغض ما يبغض الله: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٦ ـ موالاة أولياء الله:

والولي هو من اتصف بصفتي الإيمان والتقوىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

٧ ـ معاداة أعداء الله:

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

---

(١) «ديوان الشافعي» (ص٥٨).

٨ ـ العمل بكتاب الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

القسم الثاني: محبة النبي ﷺ:

وهذه المحبة واجبة، تابعة لمحبة الله، لازمة لها، فإنها محبة لله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، وتنقص بنقصها.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»**(١).

وعنه أيضًا: أن النبي ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»**(٢).

* شروط محبة النبي ﷺ:

١ ـ طاعة ما به أمر: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

٢ ـ الانتهاء عما عنه نهى وزجر: قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

٣ ـ تصديق ما به أخبر، وهذا من تمام الإيمان به ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٦٠ ـ فتح)، ومسلم (٢/ ١٣ ـ نووي).

(٢) رواه البخاري (١/ ٥٨ ـ فتح)، ومسلم (٢/ ١٥).

٤ ـ **التشبه به ﷺ ظاهراً وباطناً،** قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ [أُ]سْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٥ ـ **الصلاة عليه عند ذكره ﷺ:** قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى [ا]لنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

القسم الثالث: محبة في الله:

وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم من المؤمنين الصادقين، ومحبة ما [ي]حبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة، وهذه تابعة لمحبة الله، بل هي من [م]ستلزمات الإيمان.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب لله، [و]أبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**»[١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**من أحب أن يجد طعم الإيمان؛ فليحب المرء لا يحبُّه إلا لله**»[٢].

وعن البراء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأنصار: لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم، أحبه الله، ومن أبغضهم؛ أبغضه الله**»[٣].

القسم الرابع: محبة مع الله:

وهي محبة الشركية: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦].

---

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٨٤١).
(٢) رواه أحمد والبزار، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٨٣٤).
(٣) رواه البخاري (٧/ ١١٣ ـ فتح)، ومسلم (٢/ ٦٣ ـ نووي).

ومن هنا يتبين ضلال أولئك الذين يتمسحون بقبور الصالحين ويخرون علي أعتابهم بحجة أنهم يحبونهم؛ فهذا حب شركي.

القسم الخامس: المحبة الطبيعية:

كمحبة الأهل والولد وغيرها من الأشياء التي فطر الإنسان علي حبها: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

وهذه محبة مباحة، ولكن إذا أعانت على طاعة؛ صارت طاعة في نفسها وإذا أعانت على معصية، صارت معصية، وإلا ظلت على الإباحة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

* ومن العبادات القلبية أيضًا التوكل:

التوكل: هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، وهذا ل ينافي الأخذ بالأسباب؛ لأن ترك الأسباب قدح في التشريع، والاعتقاد في الأسباب قدح في التوحيد.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُ مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وفي هذه الآية يقول ابن القيم: «فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وكلم قوي إيمان العبد؛ كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان؛ ضعف التوكل، وإذ كان التوكُّل ضعيفًا، كان دليلاً على ضعف الإيمان ولا بدَّ.

والله يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل

لتقوىٰ، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية.

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا علىٰ بدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا علىٰ ساق التوكل»اهـ[1].

* الإنابة:

وهي التوبة النصوح، والرجوع إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

قال سبحانه: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

* الإستعانة:

قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال ﷺ: **«إذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله»**[2].

* الخوف:

قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء علي الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون»**[1].

---

(١) راجع «فتح المجيد» (ص٣٥٣).

(٢) رواه الترمذي، وقال: «حسن صحيح».

(٣) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم (٦٠٩٨).

وقال أيضًا: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(١).

أقسام الخوف:

الخوف قسمان:

١ ـ خوف فطري:

كالخوف من حيوان مفترس: أو عدو، أو نار، أو ظالم، أو غيرها من الأمور التي فطر الإنسان على الخوف منها.

وهذا الخوف لا ينافي التوحيد، ولا يقدح في الإيمان، بل قد وقع للأنبياء والرسل.

قال تعالى عن موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٥ ـ ٤٦].

وهذا الخوف إن انعقدت أسبابه، فليس بمذموم، وإن كان بلا سبب، أو لسبب ضعيف، فهو مذموم، ويسمى جبنًا، والجبن من الأخلاق الرذيلة التي تعوَّذ منها النبي ﷺ.

٢ ـ خوف تعبدي:

وهو خوف التأله والتقرب.

وهو حق خالص لله تبارك وتعالى، فلا يجوز صرفه لغير الله ومن صرفه لغير الله، فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج عن الملة.

كمن يخشى صاحب قبر أن يصيبه بضرر أو يوقع به مكروهًا في نفسه

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

أو أهله أو ماله .

قال تعالى : ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

وقال سبحانه : ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[التوبة : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

أي : لا بدَّ من الخوف والرجاء في العبادة ، ومن هنا يتضح ضلال من زعم أنه لا يعبد الله خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته .

الفرق بين الخوف الفطري والتعبدي:

ولكن كيف نفرق بين هذين الخوفين؟

الفرق بينهما واضح جليّ :

فالخوف الفطري : خوف مع الكراهة .

والخوف التعبدي : خوف مع الحب .

فالذي يخاف من الأسد أو العدو يكرهه ، ولكن الذي يخاف من الله يحبه ، وكذلك المشرك الذي يخاف من قبر ولي أو صالح يحبه .

فاقتران الخوف بالحب هو العبادة بعينها .

* الرجاء:

وهو من العبادات التي يجب أن تصرف لله وحده :

قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس : ٧-٨] .

رابعًا: العبادات القولية:

* الحلف:

وهو ينقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: الحلف بالله:

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾.

ويكون بأسمائه أو بصفة من صفاته تبارك وتعالىٰ.

وينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام.

يمين لغو: وهو الذي يجري علىٰ اللسان دون انعقاد نيَّة، ومن رحمة الله تبارك وتعالىٰ أنه لا يؤاخذنا به.

قال تعالىٰ: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

ولكن علىٰ المسلم أن يحفظ لسانه من الإكثار من الحلف.

قال تعالىٰ: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

يمين كفارة: وهو الحلف علىٰ شيء في المستقبل، ثم لم يتمكن من الوفاء به، أو رأىٰ غيره عند الله أفضل منه فكفارته هكذا علىٰ الترتيب:

١ ـ إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة.

٢ ـ صيام ثلاثة أيام.

قال تعالىٰ: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

يمين غموس: وهو الحلف الكذب على شيء في الماضي، وسمي غموسًا ؛ لأنه يغمس صاحبه في جهنم.

وليست له كفارة إلا التوبة النصوح بشروطها وهي :

١ - إرجاع الحق إلى صاحبه.

٢ - استسماح صاحب الحق.

٣ - الندم على ما وقع منه.

٤ - العزم على عدم العودة.

ويقول النبي ﷺ عن اليمين الغموس : «**من حلف على يمين صبر [١] يقتطع بها مال امريء مسلم وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان**» [٢].

ولقد عدَّ النبي ﷺ اليمين الغموس من الكبائر، فقال : «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**»[٣].

ويكون الإثم أعظم والجرم أكبر إذا كان اليمين عند منبر رسول الله ﷺ.

فعن جابر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : «**من حلف على يمين آثمة عند منبري هذا فليتبوأ مقعده من النار، ولو على سواك أخضر**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا يحلف عند هذا المنبر عبد ولا أمة، على يمين آثمة ولو علي سواك رطب، إلا وجبت له النار**»[٥].

---

(١) (صبر). أي : جرأة وإقدامًا.

(٢) رواه : البخاري (٨/ ٢١٢ـ فتح)، ومسلم (٢/ ١٥٨ـ نووي).

(٣) رواه البخاري (١١/ ٥٥٥ـ فتح).

(٤) رواه : ابن ماجه (٢/ ٧٧٩)، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٠٨١).

(٥) رواه ابن ماجه (٢/ ٧٧٩)، ونقل محققه عن البوصيري في «الزوائد» : أنه قال : «إسناده صحيح، ورجاله ثقات».

القسم الثاني: الحلف بغير الله تعالى:

كالحلف بالآباء والأمهات والأبناء والأمانة وغيرها من مخلوقات الله عز وجلّ، وهو شرك أصغر، يجب على المسلم أن يتحرز منه.

ومنه أيضًا: الحلف بالشرف، والنبي، وحياة فلان:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بغير الله، فقد أشرك**»[(١)].

وعنه أيضًا: أن النبي ﷺ قال: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»[(٢)].

وعن بريدة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**من حلف بالأمانة؛ فليس منا**»[(٣)].

وقد كان أناس يحلفون بالكعبة على زمن النبي ﷺ فقال: «**من حلف فليحلف برب الكعبة**»[(٤)].

كفارة الحلف بغير الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف منكم فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله**»[(١)].

تنبيه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يحلف بأبيه

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وحسنه الحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٠٨٠).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود (٣/ ٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٠٧٩).

(٤) رواه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٠٩٠).

(٥) رواه البخاري.

يستـعينون إلاَّ بالله، ولا ينيبـون إلاَّ إلىٰ اللـه، ولاينكسـرون إلاَّ الله، ولا
يستغيثون إلاَّ بالله، ولا يستعيذون إلاَّ بالله، ولا يدعـون إلاَّ الله، ولا يحلفو
إلاَّ باللـه، ولا يذبحـون إلاَّ للـه، ولا ينذرون إلاَّ للـه، ولا يطوفـونَ إلاَّ ببيـ
الله، ويؤمنونَ بأن النافع هو الله، والضـار هو الله، والرازق هو الله، والمحيي
والمميت هـو الله، ويراقبون الله في حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم
ويرجون رحمته، ويخافون عذابه.

فاللهم اجعلنا منهم بكرمك يا أرحم الراحمين.

* * *

الصفة السابعة
مجانبة القتل

﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾

يقول القرطبي : ﴿إلا بالحق﴾ أي : يحق أن تقتل به النفوس : من كفر بعد إيمان ، أو زنىٰ بعد إحصان . أهـ[١] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأني رسول الله إلاَّ بإحدىٰ ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة[٢] .

قال ابن كثير رحمه الله : «ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث ؛ فليس لأحد من من آحاد الرعية أن يقتله ، وإنما ذلك إلىٰ الإمام أو نائبه» اهـ[٣] .

* الترهيب في قتل المسلم:

قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٩٣] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أول ما يقضىٰ بين الناس يوم القيامة في الدماء»[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «اجتنبوا السبع

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٧٦) .
(٢) متفق عليه .
(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣٤) .
(٤) رواه البخاري ومسلم .

الموبقات»[١] قيل: يا رسول الله! وما هنَّ؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربَّا، والتولّي يوم الزحف**[٢] **، وقذف المحصَنات الغافلات**[٣] **المؤمنات»**[٤] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»**.

وقال ابن عمر: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله»[٥] .

واعلم - أرشدك الله إلى طاعته - أن قتل الرجل المؤمن بغير حق عند الله عزَّ وجلَّ أمر عظيم وجرم كبير.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: **«لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»**[٦] .

وعن البراء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»**[٧] .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: **«لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن، لكبَّهم الله عزَّ وجلَّ في النار»**[٨] .

---

(١) (الموبقات): المهلكات.

(٢) (التولي يوم الزحف): الفرار من أعداء الله حين يلتحم الجيشان.

(٣) (قذف المحصنات الغافلات): رمي المؤمنة العفيفة الشريفة بالزنى زورًا وبهتانًا.

(٤) رواه البخاري (٥/ ٣٩٣ - فتح) ومسلم (٢/ ٨٢ - نووي)

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه البخاري والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٩٥٣).

(٧) رواه ابن ماجه (٢/ ٨٧٤) وقال في «الزوائد» «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٥٤).

(٨) رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥١٢٣).

ولقد شدَّد النبي ﷺ في الترهيب من قتل المؤمن متعمداً، فقال: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلاَّ من مات مشركًا، أو قتل مؤمنًا متعمدًا»(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دمًا فيقول: يا رب! سل هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش»(٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يجيء الرجل آخذًا بيد الرجل، فيقول: يا رب! هذا قتلني. فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك. فيقول: فإنها لي. ويجيء الرجل آخذًا بيد الرجل، فيقول: اي رب! إن هذا قتلني. فيقول الله: لما قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان: فيقول إنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه»(٣) .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من قتل مؤمنًا فاغتبط(٤) بقتله، لم يقبل الله منه صرفًا(٥) ، ولا عدلاً(٦) »(٧) .

الترهيب من حضور قتل إنسان ظلمًا:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقفنَّ أحدكم موقفًا يقتل فيه رجل ظلمًا؛ فإن اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفنَّ أحدكم موقفًا يضرب فيه رجلٌ ظلمًا، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه»(٨) .

---

(١) رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٥١١).
(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٨٨٧).
(٣) رواه النسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٨٧٨٥).
(٤) (اغتبط): فرح. (٥) (الصرف): النافلة. (٦) (العدل): الفريضة.
(٧) رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٣٣٠).
(٨) رواه البيهقي بإسناد حسن. قاله الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤/٣٣٧).

* تحريم قتل الذمي المعاهَد:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل معاهدًا لم يرح**[١] **رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**»[٢].

وعن أبي بكر رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا في غير كُنهه؛ حرَّم الله عليه الجنة**»[٣].

(في غير كنهه) في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حين لا عهد له.

وعنه أيضًا: أن النبي ﷺ قال: «**من قتل نفسًا معاهدة بغير حلها؛ حرَّم الله عليه الجنة أن يشم ريحها**»[٤].

* تحريم قتل الإِنسان نفسه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**من تردَّى**[٥] **من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسى**[٦] **سمًا فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده، يجأ**[٧] **بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا**»[٨].

---

(١) (يرح): يشم.

(٢) رواه البخاري (١٢/ ٢٥٩ ـ فتح).

(٣) رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٣٢٢).

(٤) رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» بزقم (٦٣٣٤).

(٥) (تردَّىٰ): أسقط نفسه.

(٦) (تحسَّىٰ): تجرع وشرب.

(٧) (يجأ): يطعن.

(٨) رواه البخاري (١٠/ ٢٥٧ ـ فتح)، ومسلم (٢/ ١١٨ ـ نووي).

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «**من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا، عُذِّب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنًا بكفر، فهو كقتله**»[(١)] .

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع[(٢)] ، فأخذ سكينًا فحزَّ[(٣)] به يده، فما رقأ[(٤)] الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه[(٥)] ؛ حرمت عليه الجنة**»[(٦)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر ، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام : «**هذا من أهل النار**» فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً ، فأصابته جراحة ، فقيل : يا رسول الله! الذي قلت إنه من أهل النار ، فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات ، فقال رسول الله ﷺ : «**إلى النار**»، فقال : فكاد بعض الناس أن يرتاب ؛ فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمت ، ولكن به جراحًا شديدًا ، فلما كان من الليل ، لم يصبر على الجراح فقتل نفسه ، فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال : «**الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله، ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلاَّ نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»[(٧)] .

وعنه أيضًا : أن رسول الله ﷺ قال : «**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار، والذي يقتحم يقتحم في النار**»[(٨)] .

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٦٤ - فتح) ومسلم (٢/ ١١٩ - نووي) .
(٢) (فجزع) : لم يصبر على ألمه .
(٣) (حزّ) : قطع .
(٤) (فما رقأ) : لم ينقطع
(٥) (بادرني عبدي بنفسه) : استعجل الموت .
(٦) رواه البخاري (٦/ ٤٩٦ - فتح) ومسلم (٢/ ١٤٢ - نووي) .
(٧) رواه البخاري (٦/ ١٧٩ - فتح) ومسلم (٢/ ١٢٢ - نووي) .
(٨) رواه البخاري

الصفة الثامنة
اجتناب الزنى

﴿ وَلاَ يَزْنُونَ ﴾

فالمؤمن دائمًا حافظ لفرجه كما قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

وإليك الأمر بشيء من التفصيل.

* حفظ الفرج عن الزنى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»(١).

وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا نعايا العرب! يا نعايا العرب! إن أخوف ما أخاف عليكم الزنى والشهوة الخفية**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل متكبر**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٠ - فتح)، ومسلم (٢/ ٤١ - نووي).

(٢) رواه الطبراني، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٠٨).

(٣) رواه مسلم (٢/ ١١٥ - نووي).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**».

قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»[١].

وعن بريدة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم، إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى (وفي رواية: أترون يدع له من حسناته شيئًا؟!)**»[٢].

* حفظ الفرج من اللواط[٣]:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط**»[٤].

وعن محمد بن المنكدر: «أن خالد بن الوليد كتب إلىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب يُنكح كما تُنكح المرأة، فجمع لذلك أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم علي بن أبي طالب، فقال علي: إن هذا ذنب لم تعمل به أمة إلاَّ أمة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرىٰ أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يحرق بالنار، فأمر أبو بكر أن يحرق بالنار»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٦٣ ـ فتح) ومسلم (٢/ ٨٠ ـ نووي).

(٢) رواه مسلم (١٣/ ٤١ ـ نووي)، وأبو داود (٤/ ٨)، والنسائي (٦/ ٥١).

(٣) (اللواط): أن يأتي الرجلُ الرجلَ.

(٤) رواه الترمذي (٣/ ٩)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ٨٥٦).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي بسند جيد. قاله المنذري في «الترغيب» (٤/ ٣٢٥).

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا فإن الله لا يستحي من الحق، ولا تأتوا النساء في أدبارهن**»[١].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تأتوا النساء في أستاههن، فإن الله لا يستحي من الحق**»[٢].

* حفظ الفرج عن إتيان البهيمة:

وروي عن رسول الله ﷺ: «**أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله**». قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: «**المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي أتي البهيمة والذي يأتي الرجال**»[٣].

وروىٰ الحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من أتى شيئًا من البهائم**».

وقال: «صحيح الإسناد»!

قلت: بل هو ضعيف الإسناد؛ لأنه من رواية هارون بن هارون التيمي، وهارون هذا، قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣١٣) «ضعيف».

نعم رواه الطبراني من طريق أخرىٰ، ولكنها أضعف من الأولىٰ، لأنها من رواية محرر أخي هارون هذا، وهو أضعف منه قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٣١): «متروك».

ولا تغتر بتحسين الترمذي لأحاديث محرر هذا، فإن الترمذي -رحمه الله- متساهل في التحسين كما هو معلوم.

---

(١) رواه أبو يعلىٰ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٩٨): «رجال أبي يعلىٰ رجال الصحيح، غير يعلىٰ بن اليمان، وهو ثقة». وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٣٢٦): «إسناده جيد».

(٢) رواه أحمد والترمذي (٢/ ٣١٦)، وحسنه.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي بسند ضعيف.

ومع ضعف هذه الأحاديث، فإن إتيان البهيمة محرم بإتفاق العلماء، وبعموم قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

* حفظ الفرج عن إتيان المرأة وهي حائض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**من أتى حائضًا أو أمرأة في دبرها أو كاهنًا فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[1].

* حفظ الجوارح عن الزنى:

ثم إن لكل جارحة زنىً، كما قال النبي ﷺ: «**إن العين لتزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه الكلام، واليد تزني وزناها اللمس، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه**»[2].

فعباد الرحمن يحفظون جوارحهم عن كل ما يغضب الله تبارك وتعالىٰ؛ لأنهم يعتقدون أنهم سيقفون أمام ربهم تبارك وتعالىٰ، وسيحاسبون علىٰ كل ما قدموه: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

نسأل الله أن يرشدنا إلىٰ الطاعات، ويهدينا إلىٰ الحسنات، ويجعلنا من ورثة الجنات بفضله وكرمه.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ١٥) وصححه الألباني في «آداب الزفاف» (١٥).

(٢) رواه مسلم، والبخاري مختصراً، وبوَّب له(باب زنىٰ الجوارح).

الصفة التاسعة

التوبة

﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾

فعباد الرحمن إذا اقترفوا معصية بحكم ضعفهم البشري، أقلعوا وتابوا وندموا.

بل إنهم يشهدون التقصير في أعمالهم، فيتوبون إلى ربهم، ويرتمون بين يديه، ويخضعون ويذلون له.

فهم إما تائبون من ذنب اقترفوه، أو من عمل قصروا فيه، أو من كمال لم يدركوه، أو من نعم لم يستطيعوا القيام بشكرها.

ولذلك أمرنا ربنا بالتوبة إليه، فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا** ﴾ [التحريم: ٨].

ثم إن ربنا تبارك وتعالى قد بيَّن أن التوبة هي طريق الفلاح، فقال: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١].

فالتوبة ليست خاصة بالمذنب الجاني، بل عامة في حق جميع المؤمنين الذين يريدون الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ١١/ ١٠١ ـ فتح).

وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس! توبوا إلى الله واستغفروه؛ فإني أتوب في اليوم مئة مرة**»[١].

فهذا رسول الله ﷺ، وهو المعصوم، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يتوب إلىٰ الله في اليوم مائة مرة، وهذا لا يعني العدد بالتحديد، وإنما المقصود كثرة الاستغفار والتوبة.

ثم إن ربنا تبارك وتعالىٰ يفرح بعبده التائب المنيب إليه، ويضرب رسولنا مثلاً لذلك بالرجل الذي خرج في سفر علىٰ راحلة، وبينما هو في وسط الصحراء الجرداء التي لا طعام فيها ولا ماء، إذا براحلته التي عليها طعامه وشرابه قد انفلتت، فظل يفكر ماذا يفعل وهو في وسط الصحراء المهلكة، فلما أيقن بالموت جاء تحت ظل شجرة فنام، ثم استيقظ من نومه فإذا راحلته عنده وعليها طعامه وشرابه، فقام في فرح شديد، وحمد ربه تبارك وتعالىٰ، وقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح فالله تبارك وتعالىٰ أشد فرحًا من هذا براحلته.

يقول النبي ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»[٢].

وربنا تبارك وتعالىٰ لم يقنِّط عباده، بل فتح لهم باب التوبة علىٰ مصراعيه،

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الذكر، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ١٧/ ٤٣ ـ نووي).

(٢) رواه البخاري في (الدعوات، باب التوبة، ١١/ ١٠٢ ـ فتح) باختصار ومسلم في (التوبة، باب الحض علىٰ التوبة، ١٧/ ٦٣، نووي).

ويظل ذلك الباب مفتوحًا، حتىٰ تظهر علامات الساعة الكبرىٰ، وهي طلوع الشمس من المغرب.

فعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[٣].

(يغرغِر): أي: عند وصول الروح إلىٰ الحلقوم ساعة الإحتضار.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه،فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله، فكمل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مئة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء. فانطلق، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط.**

---

(١) رواه مسلم (١٧/ ٧٦ ـ نووي).

(٢) رواه مسلم (١٧/ ٢٥ ـ نووي).

(٣) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات، باب التوبة مقبولة قبل الغرغرة) وقال: «حديث حسن».

فأتاهم مَلَكٌ في صورة آدمي: فجعلوه بينهم (أي : حكمًا) فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له، فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[(١)] .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه : أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلىٰ من الزنىٰ : فقالت : يا رسول الله ! أصبت حدًّا فأقمه عليَّ . فدعا نبي الله ﷺ وليها ، فقال : «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني**» ففعل ، فأمر النبي ﷺ ، فشدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ، ثم صلىٰ عليها . فقال له عمر : تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال : «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عزَّ وجلَّ؟!**»[(٢)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**لو أن لابن آدم واديًا من ذهب، أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه**[(٣)] **إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[(٤)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «**يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيُسلم فيُستشهد**»[(٥)] .

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥١٢ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٨٢ ـ نووي).

(٢) رواه مسلم (١١/ ٢٠٤ ـ نووي) في (كتاب الحدود، باب حد الزنىٰ).

(٣) (ولن يملأ فاه إلا التراب)، أي: لا يزال حريصًا حتىٰ يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره وقتها يقنع.

(٤) رواه البخاري (كتاب الرقاق، با ما يتقي من فتنة المال، ١١/ ٢٥٣ ـ فتح) ومسلم ف (كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص علىٰ الدنيا، ٧/ ١٣٩ ـ نووي).

(٥) رواه البخاري (كتاب الجهاد، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسسلم، ٦/ ٣٨ ـ فتح) ومسلم (كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، ١٣/ ٣٦ ـ نووي).

عن صفوان بن عسال رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**إن من قبل المغرب لبابًا مسيرة عرضه أربعون (أو: سبعون) عامًا، فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض، فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**للجنة ثمانية أبواب: سبعة مغلقة، وباب مفتوح للتوبة، حتى تطلع الشمس من نحوه**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء، ثم تبتم، لتاب الله عليكم**»(٣).

فلا ييأس المسلم ولا يقنط من رحمه الله، فإنه لا يقنط من روح الله إلا القوم الكافرون، ولكن عليه بالرجوع إلى الله والتوبة النصوح؛ فالله لا يرد تائبًا.

ولكن إذا كان قد اقترف معصية في السر؛ فعليه أن يتوب سرًا، ولا يفضح نفسه، وإن كان قد جاهر بفسق أو معصية أو أي أمر من الأمور التي لا ترضي الله؛ فعليه أن يتوب جهرًا، حتى يرجع من اقتدى به في هذا الذنب أو تلك المعصية.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أوصني؟ قال: «**عليك بتقوى الله ما استطعت، واذكر الله عند كل حجر وشجر، وما عملت من سوء؛ فأحدث له توبة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التوبة)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) رواه أبو يعلي والطبراني بإسناد جيد، قاله المنذري في «الترغيب» (٥/ ٢٨١).

(٣) رواه ابن ماجه، (٢/ ١٤١٩)، وقال في «الزوائد»: «إسناده حسن»، وقال: المنذري في «الترغيب» (٥/ ٢٨١): «إسناده جيد».

(٤) رواه الطبراني بإسناد حسن، قاله المنذري في «الترغيب» (٥/ ٢٨٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم**»[١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن تقرَّب إلى الله عزَّ وجلَّ شبرًا، تقرَّب إليه ذراعًا ومَن تقرَّب إليه ذراعًا تقرب إليه باعًا، ومن أقبل إلى الله عزَّ وجلَّ ماشيًا أقبل الله إليه مهرولاً والله أعلى وأجل والله أعلى وأجل، والله أعلى وأجل**»[٢].

وقال النبي ﷺ: «**قال الله عزَّ وجلَّ: يا ابن آدم! قم إليَّ؛ أمش إليك، وامش إليَّ، أهرول أليك**»[٣].

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحسن فيما بقي؛ غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي؛ أُخذ بما مضى وما بقي**»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها: قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كثرت ذنوب العبد، ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه**»[٥].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[٦].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ: قال: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٧]، وعنه أيضًا: أن النبي ﷺ قال: «**الندم توبة**»[٨].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه أحمد والطبراني، وإسنادهما حسن. قاله الحافظ المنذري في «الترغيب» (٥/ ٢٩٠).

(٣) رواه أحمد بإسناد صحيح، قاله المنذري في «الترغيب» (٥/ ٢٩٠).

(٤) رواه الطبراني بإسناد حسن، قاله المنذري في «الترغيب» (٥/ ٢٩١).

(٥) رواه أحمد والبزار، وإسناده حسن. قاله الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩٢).

(٦) رواه أحمد، والترمذي وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠) والدارمي (٢/ ٣٠٣) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣٩١).

(٧) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٠) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٠٠٥).

(٨) رواه أحمد والبخاري في «التاريخ» وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٦٧٨).

الآثار الواردة عن السلف في التوبة[١] :

قال سعيد بن المسيب : «أنزل قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٥] في الرجل يذنب ، ثم يتوب ، ثم يذنب ، ثم يتوب» .

وقال طلق بن حبيب : «إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ، ولكن أصبحوا تائبين ، وأمسوا تائبين»[٢] .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «من ذكر خطيئة ألمَّ بها ، فوجل منها قلبه ، محيت عنه في أم الكتاب» .

وقيل : «إن العبد ليذنب الذنب ، فلا يزال نادمًا حتىٰ يدخل الجنة ، فيقول إبليس : ليتني لم أوقعه في الذنب» .

وقال حبيب بن أبي ثابت : «تعرض علىٰ الرجل ذنوبه يوم القيامة ، فيمر بالذنب ، فيقول : أما إني قد كنت مشفقًا منه» قال : «فيغفر له» .

ويروىٰ أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألمَّ به هل له من توبة؟ فأعرض عنه ابن مسعود ، ثم التفت إليه ، فرأىٰ عينيه تذرفان ، فقال له : «إن للجنة ثمانية أبواب ، كلها تفتح وتغلق ، إلا باب التوبة ، فإن عليه ملكًا موكلاً به لا يغلق ، فاعمل ولا تيأس .

وقال عبد الرحمن بن أبي قاسم : «تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر ، وقول الله تعالىٰ : ﴿ إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] ، فقال : إني لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالاً» .

وقال عبد الله بن سلام : «لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزَّل ، إن العبد إذا عمل ذنبًا ، ثم ندم عليه طرفة عين ؛ سقط عنه أسرع من طرفة عين» .

---

(١) راجع «إحياء علوم الدين» (١١/ ٢٠٩١) ط . الشعب .

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٠١) ، وقال الأعظمي : «وأخرجه أبو نعيم أيضًا» (٣/ ٦٥) .

وقال عمر رضي الله عنه: «اجلسوا إلىٰ التوابين، فإنهم أرق أفئدة».

وقال الحسن البصري رحمه الله: «إن المؤمن قوَّام علىٰ نفسه يحاسب نفسه لله عزَّوجلَّ. وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة علىٰ قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة علىٰ قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفجأ الشيء يعجبه، فيقول: إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات، هيهات، حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء، فيرجع إلىٰ نفسه، فيقول: ما أردت إلىٰ هذا؟ ما لي ولهذا؟ والله لا أعود إلىٰ هذا أبدًا إن شاء الله.

إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن، وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا، يسعىٰ إلىٰ فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتىٰ يلقىٰ الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه، في بصره، في لسانه، في جوارحه، يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله» اهـ[1].

وقال وهب بن منبه رحمه الله: «إن في حكمة آل داود. حق علىٰ العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه عزَّ وجلَّ، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلىٰ إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون علىٰ هذه الساعات، وإجمام للقلوب وحق علىٰ العاقل أن يعرف زمانه، ويحفظ لسانه، ويقبل علىٰ شأنه. وحق علىٰ العاقل أن لا يظعن إلا في إحدىٰ ثلاث: زاد لمعاده، ومرمة لمعاشة، ولذة في غير محرم»[2] اهـ.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٣)، وعزاه الأعظمي لأبي نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٧).
(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٥).

* شروط قبول التوبة:

«قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب: فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالىٰ لا تتعلق بحق آدمي؛ فلها ثلاثة شروط:

إحدها: أن يقلع عن المعصية.

الثاني: أن يندم علىٰ فعلها.

الثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبداً

فإن فقد أحد الثلاثة، لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي، فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه، رد إليه، وإن كان لأحد قذف ونحوه؛ مكَّنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة، استحله منه.

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها، صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي» اهـ من كلام النووي رحمه الله[٢].

وإليك توضيح هذه الشروط.

الشرط الأول: الإِقلاع عن المعصية:

لأنه لايتصور توبة رجل من معصية معينة وهو ما زال متلبسًا بها؛ فلا بدَّ من الإقلاع أولاً، وليس المقصود إقلاعًا مؤقتًا، بل لا بدَّ أن يستمر ويدوم.

ليس هذا فقط، بل عليه أن يرد بفكره إلىٰ أول يوم بلغ فيه سن التكليف،

(١) رياض الصالحين (١/ ٣٢) مع شرحه «نزهة المتقين».

ويفتش عما مضىٰ من عمره سنة سنة وشهرًا شهرًا ويومًا يومًا، بل ونَفَسًا نَفَسًا، وينظر إلىٰ الطاعات التي قصر فيها، وإلىٰ المعاصي التي قارفها.

فإن كان قد ترك صلاة، فليسارع بتأديتها علىٰ أحد قولي العلماء، أو يؤدي بعددها نوافل.

وإن كان قد ترك صومًا، أو أفطر عمدًا، أو أفطر لعذر، ولم يقض، أو غير ذلك، فعليه بالمسارعة بقضائه.

وإن كان قد ترك تأدية الزكاة: فعليه أن يحسب جميع ماله وعدد السنين منذ أول ملكه للنصاب، لا من زمن البلوغ، فإن الزكاة واجبة في مال الصبي، فيؤدي ما فاته منها.

وهكذا في جميع الطاعات التي لم يقم بأدائها.

أمَّا المعاصي:

فعليه أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه، وبصره، ولسانه، وبطنه، ويده. ورجله، وفرجه، وسائر جوارحه.

ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته، ويسترجع في ذهنه ما استطاع من معاصيه، حتىٰ يطَّلع علىٰ جميعها صغارها وكبارها، ثم ينظر فيها:

فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالىٰ، كنظر محرم، وقعود في مسجد مع الجنابة، أو اعتقاد بدعة، أو شرب خمر، أو سماع أغاني.... إلخ، فيطلب لكل معصية حسنة تناسبها.

لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود: ١١٤].

والنبي ﷺ يقول: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»[1].

---

(١) رواه الترمذي، وصححه.

فيكفَّر سماع الأغاني بسماع القرآن، ومجالس اللهو بمجالس العلم، والمكث في المسجد جنبًا بالاعتكاف فيه لله، ويكفَّر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال، ويكفِّر النظر إلىٰ النساء الأجنبيات بالنظر في مخلوقات الله من شجر وسماء وأرض وغيره؛ كل هذا مع اصطحاب الندم والاستغفار.

الشرط الثاني: الندم على فعلها:

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**الندم توبة**»[١].

والندم معناه: توجع القلب عند تذكُّره الذنب مع طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع.

وعلامة هذا الندم أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلاً عن حلاوتها، فيستبدل بالميل كراهية، وبالرغبة نفرة، وباللذة ألمًا، وأن ينظر إلىٰ نفسه نظرة اتهام وازدراء واحتقار، وإلىٰ غيره نظرة البراءة والطهر والنقاء، فيمشي في الدنيا مشية المشفق الخائف.

الشرط الثالث: العزم على عدم العودة:

أنه لو عزم علىٰ العودة: لا تصح توبته.

ولذلك يقول تبارك وتعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا**﴾ [التحريم: ٨].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «التوبة النصوح: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «توبة نصوحًا»: قال: «يتوب ثم لا يعود».

---

(١) رواه: أحمد، والبخاري في «التاريخ»، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٦٧٨).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل». اهـ[1].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «التوبة النصوح: أن تبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته».

الشرط الرابع: أن يبرأ من حق صاحبها:

بأن يرجع الحق إلى صاحبه؛ كمن سرق من رجل، ثم أراد زن يتوب عليه: أن يؤدي الحق إلى صاحبه، ثم يستسمحه أو يستحل الذنب؛ كمن اغتاب مسلمًا، عليه أن يذهب إليه، ويطلب منه العفو والصفح.

ومع ذلك كله عليه أن يدعو الله أن يقبل توبته ولا يردها عليه، وأن يكون مشفقًا خائفًا طوال حياته، وهذا الإشفاق من موجبات الجنة؛ كما قال تعالى حاكيًا عن المؤمنين: ﴿**إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ**﴾.

أقسام التائبين:

قال بعضهم: «اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات:

الطبقة الأولى: أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، فيتدارك ما فرط من أمره، ولا يُحَدِّث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات؛ فهذه هي الاستقامة على التوبة، وصاحبها هو السابق بالخيرات، المستبدل بالسيئات حسنات، واسم هذه التوبة: التوبةُ

---

[1] «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٩٢).

النصوحُ. واسم هذه النفس الساكنة المطمئنة، التي ترجع إلىٰ ربها راضية مرضية.

الطبقة الثانية: تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كبار الفواحش كلها؛ إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه، لا عن عمد وتجريد قصد، ولكن يبتلىٰ بها في مجاري أحواله؛ من غير أن يقدم عزمًا علىٰ الإقدام عليها، ولكنه كلما أقدم عليها؛ لام نفسه، وندم، وتأسف، وجدد عزمه علىٰ أن يشتمَّر للاحتراز من أسبابها التي تعرضه لها، وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوَّامة، إذ تلوم صاحبها علىٰ ما ستتهدف له من الأحوال الذميمة، لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد.

وهذه أيضًا رتبة عالية، وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولىٰ، وهي أغلب أحوال التائبين.

وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالىٰ، إذ قال: ﴿ **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾.

فكل إلمام يقع بصغيرة، لا عن توطين نفسه عليه، فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه.

قال تعالىٰ: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ** ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فأثنىٰ عليهم مع ظلمهم لأنفسهم؛ لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه.

الطبقة الثالثة: أن يتوب ويستمر علىٰ الاستقامة مدة، ثم تغلبه الشهوة في بعض الذنوب، فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة، لعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب علىٰ الطاعات، وتارك جملة من الذنوب مع القدرة

والشهوة، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان، وهو يود لو أقدره الله تعالىٰ علىٰ قمعها، وكفاه شرها، هذه أمنيته في حال قضاء الشهوة، وعند الفراغ يتندم ويقول: ليتني لم أفعله، وسأتوب عنه، وأجاهد نفسي في قهرها، لكنه تسول نفسه، ويسوف توبته مرة بعد أخرىٰ، يومًا بعد يوم.

فهذه النفس هي التي تسمىٰ النفس المسولة، وصاحبها من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٢].

فأمره من حيث مواظبته علىٰ الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو.

فعسىٰ الله أن يتوب عليه. وعاقبته علىٰ خطر من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة، ويقع أمره في المشيئة.

الطبقة الرابعة: أن يتوب ويجري مدة علىٰ الاستقامة، ثم يعود إلىٰ مقارفة الذنب أو الذنوب، من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف علىٰ فعله، بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته، فهذا من جملة المصرين، وهذه النفس هي النفس الأمَّارة بالسوء، ويخاف علىٰ هذا من سوء الخاتمة» اهـ باختصار[1].

جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله».

قال: فأيّ الناس شر؟ قال: «**من طال عمره وساء عمله**»[2].

* * *

(١) انظر «الإحياء» (١٢/ ٢١٣٩، ٢١٤٤).

(٢) رواه الترمذي بسند صحيح، قاله ابن حجر الهيثمي في «الزواجر» (٧٠٠).

الصفة العاشرة

اجتناب الزور

﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾

قال القرطبي: «أي: لا يحضرون الكذب والباطل، ولا يشاهدونه والزور كل باطل زُور وزُخرف» اهـ[١].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقيل: المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ يشهدون الزور ﴾ أي: شهادة الزور، وهي الكذب متعمداً علىٰ غيره» اهـ[٢].

ولقد عدَّ النبي ﷺ شهادة الزور من الكبائر.

فعن أنس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكبائر؟ قال «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور»[٣].

بل عدَّها من أكبر الكبائر.

فعن أبي بكرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبِّئكم بأكب الكبائر (ثلاثًا).**

قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين (وجلس متكئًا، فقال) ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»[٤].

---

(١) تفسير القرطبي (١٣/ ٧٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (٣/ ٣٢٩).

(٣) رواه البخاري في (كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿والذين يشهدون الزور﴾ ٥/ ٢١٦ - فتح) ومسلم في (كتاب الإيمان، باب أكبر الكبائر، ٢/ ٨٢، نووي).

(٤) رواه البخاري في (كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، لقول الله تعالىٰ: ﴿والذين يشهدون الزور﴾، ٥/ ٢٦١ - فتح)، ومسلم (٢/ ٨١ - نووي).

فانظر إلىٰ عظم هذا الذنب، وخطره علىٰ المجتمع كله وأثره السيء في قلب [المو]ازين ونصر الظالم علىٰ المظلوم، من أجل هذا كله أهتَّم النبي ﷺ بأمر [ش]هادة الزور، فاعتدل من اتكائه، وكرر النطق بها، حتىٰ تستقر في أذهان [الس]امعين.

وفي «شرح صحيح البخاري» قوله «وجلس وكان متكئًا» يشعر بأنه اهتم [بذ]لك حتىٰ جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه، وعظم قبحه، [و]سبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهاده الزور أسهل وقوعًا علىٰ [الن]اس، والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق [ينص]رف عنه الطبع، وأما الزور، فالحوامل عليه كثيرة. كالعداوة، والحسد، [وغ]يرهما، فاحتيج إلىٰ الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمه بالنسبة إلىٰ ما [ذك]ر معها من الإشراك قطعًا، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلىٰ غير الشاهد، [بخ]لاف الشرك، فإن مفسدته قاصرة غالبًا» اهـ[1].

[و]قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله [ثلا]ثًا مرات» ثم قرأ قوله تعالىٰ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾[2] [الحج: ٣٠-٣١].

[و]قال صاحب كتاب «الكبائر»، «لا فرق في كون شهادة الزور كبيرة بين قليل [الما]ل وكثيره، فطمًا عن هذه المفاسد القبيحة الشنيعة جدًّا، ومن ثم جعلت عدلاً [لل]شرك، ووقع له ﷺ عند ذكرها من الغضب والتكرير ما لم يقع له عند ذكر ما [هو] أكبر منها، كالقتل والزنىٰ، فدل ذلك علىٰ عظم أمرها».

---

(١) «فتح الباري» (٥/ ٢٦٣).

(٢) رواه الطبراني هكذا موقوفًا بإسناد حسن، قاله المنذري في «الترغيب» (٤/ ٢٦٩)، وتبعه ابن حجر الهيتمي في «الزواجر» (ص٦٣٦).

ثم نقل عن بعضهم : أنه قال : «إذا كان الشاهد كاذبًا، تأثم ثلاث آثام : إثم المعصية، وإثم إعانة الظالم، وإثم خذلان المظلوم» اهـ[١] .

وقيل : «كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه، ويحلق رأسه، ويطوف به في السوق» اهـ[٢] .

* * *

(١) «الزواجر» (ص٦٣٦).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٨٠).

الصفة الحادية عشرة
الإعراض عن اللغو

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾

قال القرطبي: «اللغو: كل سقط من قول أو فعل، فيدخل فيه الغناء واللهو وغير ذلك مما قاربه».

ثم قال: ﴿كراما﴾ معناه: معرضين، منكرين، لا يرضونه، ولا يمالئون عليه، ولا يجالسون أهله؛ أي: مروا مرَّ الكرام الذين لا يدخلون في الباطل»اهـ[(١)] .

وقال تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٣].

قال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ: «اللغو: المعاصي كلها» واستدل العلماء علىٰ تحريم الغناء بثلاث آيات هي:

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن لهو الحديث: فقال: «والله الذي لا إله إلاَّ هو؛ إنه الغناء»[(٢)] .

٢ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٨٠ ـ ٨١).
(٢) راجع: ابن كثير (٣/ ٤٤٢)، والقرطبي (١٤/ ٥١).

وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [النجم: ٥٩ـ٦١].

قال ابن عباس: هو الغناء بالحِمْيَرِيَّة: اسمدي لنا، أي: غنِّي لنا»[١].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال مجاهد: «الغناء والمزامير»[٢].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «ومن مكايد عدو الله ومصايده، التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن: ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنى، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس الباطلة، وحسنه لها مكراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه، فقبلت وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فلو رأيتم عند ذيَّاك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له كتمايل النَّشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان؟!».

ثم قال رحمه الله: «هذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحماني له في الشرع بضعة عشر اسمًا: اللهو، واللغو، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنى، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمار الشيطان، والسمود».

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٤/ ٥١).

(٢) «تفسير القرطبي (١٤/ ٥١).

فالاسم الأول: اللهو، ولهو الحديث:

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٦].

قال الواحدي وغيره: أكثر المفسرين علىٰ أن المراد بلهو الحديث الغناء.

قال قتادة: بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل علىٰ حديث لحق.

الاسم الثاني والثالث: الزور واللغو:

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال محمد ابن الحنفية: الزور ها هنا الغناء.

واللغو في اللغة: كل ما يُلغَىٰ ويطرح، والمعنىٰ: لا يحضرن مجالس اطل، وإذا مروا بكل ما يلغىٰ من قول وعمل، أكرموا أنفسهم أن يقفوا عليه يميلوا إليه.

ويدخل في ذلك أعياد المشركين والغناء وأنواع الباطل كلها.

وقد أثنىٰ الله سبحانه علىٰ مَن أعرض عن اللغو إذا سمعه بقوله: ﴿وَإِذَا عوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

الاسم الرابع: الباطل:

والباطل: ضد الحق.

قال عبيد الله للقاسم بن محمد: كيف ترىٰ الغناء؟ قال له القاسم: هو ل. فقال: قد عرفت أنه باطل، فكيف ترىٰ فيه؟ فقال القاسم: أرأيت

الباطل أين هو؟ قال: في النار. قال: فهو ذاك.

وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: ما تقول في الغناء أحلال هو أم حرام؟ فقال: لا أقول حراماً إلا ما في كتاب الله. فقال: أفحلال هو؟ فقال: ولا أقول ذلك. ثم قال له: أرأيت الحق والباطل إذا جاءا يوم القيامة؛ فأين يكن الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك».

قال ابن القيم رحمه الله: «فهذا جواب ابن عباس رضي الله عنه عن غناء الأعراب الذي ليس فيه مدح الخمر والزنىٰ واللواط، والتشبب بالأجنبيات، وأصوات المعازف، والآلات المطربات، فإن غناء القوم لم يكن فيه شيء من ذلك، ولو شاهدوا هذا الغناء لقالوا فيه أعظم قول فإن مضرته وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير وأعظم من فتنته.

الاسم الخامس: المكاء والتصدية:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال ابن عباس وابن عمر وعطية العوفي ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق».

قال رحمه الله: «والله سبحانه لم يشرع التصفيق للرجال وقت الحاجة إليه في الصلاة إذا نابهم أمر، بل أمروا بالعدول عنه إلىٰ التسبيح لئلا يتشبهوا بالنساء، فكيف إذا فعلوه لا لحاجة، وقرنوا به أنواعًا من المعاصي قولاً وفعلاً؟!

* الاسم السادس: رقية الزنى:

هو اسم موافق لمسمَّاه، ولفظ مطابق لمعناه، وهذه التسمية معروفة عن فضيل بن عياض رحمه الله.

وقال يزيد بن الوليد: يا بني أمية! إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بدَّ فاعلينَ، فجنبوه النساء؛ فإن الغناء داعية الزنى».

قال رحمه الله: «فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبدًا للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسمًا قبيحًا بين البرايا، وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا، وكم من معا فى تعرض له فأمسى وقد حلَّت به أنواع البلايا، وكم جرع من غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة.

* الاسم السابع: منبت النفاق:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع».

قال رحمه الله: «فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق ونباته فيه كنبات الزروع بالماء.

فمن خواصه: أنه يُلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه؛ فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا، لما بينهما من التضاد:

فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة، ومجانبة شهوات النفس، وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضدِّ ذلك كله، ويحسنه، ويهيِّج النفوس إلى شهوات الغي.

وهو جاسوس القلب، وسارق المروءة، وسُوس العقل، يتغلغل في مكامن القلوب، ويطلع علىٰ سرائر الأفئدة.

فبينما ترىٰ الرجل وعليه سمة الوقار، وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار الإسلام، وحلاوة القرآن، فإذا استمع الغناء ومال إليه، نقص عقله، وقل حياؤه، وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلّىٰ عنه وقاره، وفرح به شيطانه، وشكا إلىٰ الله تعالىٰ إيمانه، وثقل عليه قرآنه، وقال: يا رب! لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد.

الاسم الثامن: قرآن الشيطان:

قال قتادة: لما أهبط إبليس، قال: يا رب! فما عملي؟ قال: السحر. قال: فما قرآني؟ قال: الشعر، قال: فما كتابي؟ قال: الوشم، قال: فما طعامي؟ قال: كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه. قال: فما شرابي؟ قال: كل مسكر. قال: فأين مسكني؟ قال: الأسواق. قال: فما صوتي؟ قال: المزامير، قال: فما مصايدي؟ قال: النساء.

وكان النبي ﷺ يقول: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من نفخة، ونفثه، وهمزه**»[١].

وفسِّر نفخه: بالكبر، ونفثه: بالشعر، وهمزه بالموتة والجنون.

الاسم التاسع: الصوت الأحمق:

قال النبي ﷺ: «**نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة، لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة، خمش وجوه وشق جيوب ورنة**»[٢]

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

وقال الحسن البصري رحمه الله : صوتان ملعونان : مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة» .

أقوال الفقهاء في الغناء:

١ ـ قال الإمام ابن القيم رحمه الله : «وقد صرح أصحاب أبي حنيفة بتحريم سماع الملاهي كلها ، كالمزمار والدف ، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق» .

٢ ـ قال الإمام مالك رحمه الله : «إنما يفعله عندنا الفساق» .

٣ ـ قال الإمام الشافعي رحمه الله : «إن الغناء لهو مكروه ، يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه ، فهو سفيه ترد شهادته» .

٤ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : «الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني»[١] .

فمن الواجب على من يريد أن يسلك مسلك عباد الرحمن ويرتقي إلى الإحسان : أن يبتعد عن مجالس الزور والبهتان ، وحلقات اللهو والفسوق والعصيان ، وأن يزاحم في مجالس الخير والإحسان ، وأن يسعى في تحصيل رضى الرحمن .

* * *

---

(١) راجع : «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٤ـ٢٥٤) .

الصفة الثانية عشرة

الاستجابة لأمر الله

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾

قال قتادة: «لم يصموا عن الحق، ولم يعموا فيه، فهم والله قوم عقلوا عن الحق وانتفعوا بما سمعوا من كتابه» اهـ[1] .

وهذا حال المؤمن دائماً : إذا جاءه أمر من الله ورسوله، سارع بتنفيذه .

قال تعالىٰ : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : ٥١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] .

وربنا تبارك وتعالىٰ قد أمرنا بالمسارعة إلىٰ الخير :

فقال سبحانه : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

وقال سبحانه : ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ [المطففين : ٢٦]

فعباد الرحمن لا يأتمرون إلاَّ بأمر الله، ولا يقتدون إلاَّ برسول الله ﷺ .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مثلاً يُحتذىٰ به في المسارعة إلىٰ تنفيذ أمر الله، فانظر إلىٰ نساء الأنصار عندما نزلت آية الحجاب ؛ قامت كل واحدة منهنَّ إلىٰ ثوبها، فشقته، وصنعت منه خماراً كما أمرها ربها تبارك وتعالىٰ .

---

(١) راجع : «ابن كثير» (٣/ ٣٢٩) .

فالآية نزلت بالليل، وهنَّ لم ينتظرن حتىٰ الصباح، بل شققن الثياب وصنعن الخمر وصلين خلف رسول الله ﷺ الفجر مختمرات، فرضي الله عنهن.

فعن صفية بنت شيبة قالت: بينما نحن عند عائشة، قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن. فقالت عائشة رضي الله عنها: «إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقًا لكتاب الله، ولا إيمانًا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾، انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل علىٰ امرأته وابنته وأخته، وعلىٰ كل ذي قرابة، فما منهن امرأة إلاَّ قامت إلىٰ مرطها المرحل، فاعتجرت به؛ تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات، كأن علىٰ رؤوسهنَّ الغربان»[1].

ولذلك وصف ربنا المؤمنين في كتابه بقوله: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [الأنفال: ٢]. فالمؤمنون يزدادون إيمانًا عند سماع كلام الله، ويزدادون خشوعًا عند سماع ذكر الله.

قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وسأضرب لك مثالاً آخر لمدىٰ مسارعة الصحابة لتنفيذ أمر الله:

لقد صلىٰ النبي ﷺ تجاه بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، ثم جاء

---

(١) رواه: أبو داود، وابن أبي حاتم، والبخاري مختصراً.

الأمر الإلهي بأن يولي وجهه شطر المسجد الحرام، فكانت أول صلاة صلاها تجاه الكعبة صلاة العصر، فبعد الصلاة خرج رجل ممن صلىٰ مع النبي ﷺ، فمر علىٰ أهل مسجد يصلون تجاه بيت المقدس، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ الكعبة، قال: الصحابي هذه المقالة وهم راكعون، فداروا كما هم قِبَلَ مكة[1].

فانظر إلىٰ مسارعة الصحابة لتنفيذ الأمر، فهم لم ينتظروا حتىٰ ينتهوا من صلاتهم، بل استداروا وهم راكعون.

سبحان الله... ما أطهرها من قلوب! وما أنقاها من نفوس!

قارن بين هذا وبين من تقول لها: تحجبي، والزمي أمر ربك، فتقول لك: نعم؛ الحجاب حق، ولكن بعد الزواج سأتحجب.

وكان كثير من الصحابة يشربون الخمر، حتىٰ نزل قول الله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]. فقالوا: انتهينا ربنا! انتهينا ربنا! وأقلعوا من ساعتهم.

قارن بين هؤلاء وبين من تقول له: أقلع عن التدخين! بعد أن تبيَّنَ له حرمته بيانًا شافيًا، فيقر بحرمته، ولكنه يقول لك: سأتدرج في الإقلاع عنه؛ ففي خلال شهر سأكون قد انتهيت.

سبحان الله! ومن يضمن عمره شهرًا؟!

❋ ❋ ❋

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان ١/ ٩٥ - فتح).

الصفة الثالثة عشرة

الدعاء بصلاح الأهل والذرية

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يعني: الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له.

قال ابن عباس رضي الله عنه: يعنون: من يعمل بطاعة الله فتقّر به أعينهم في الدنيا والآخرة.

قال عكرمة رحمه الله: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالاً، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين.

قال ابن جريج رحمه الله: يعبدونك فيحسنون عبادتك، ولا يجرون علينا الجرائر[1].

فضل المرأة الصالحة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»**[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: **«أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجة لا تبغيه حوبًا في نفسها وماله»**[3].

---

(١) راجع: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٢٩). (٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وإسنادهما جيد، قال المنذري في «الترغيب» (٤/ ١١٣).

و(الحوب) هو الإثم.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير؟ فنتخذه؟ فقال: «**أفضله: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه**»(١).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء**»(٢).

الطريق إلى الزوجة الصالحة:

١ ـ الدعاء:

على المؤمن أن يدعو الله عزَّ وجلَّ أن يرزقه الزوجة الصالحة، لأن الأمر كله بيد الله، وهو وحده يعلم الصالح والطالح.

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

والنبي ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة»(٣).

٢ ـ البحث عن ذات الدين:

ولا يتوقف المسلم عند الدعاء فقط، بل عليه أن يأخذ بالأسباب ويبحث عن

---

(١) رواه ابن ماجه، والترمذي، وحسنه.

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح، قاله الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤/ ١١٣) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٥٢٣).

(٣) رواه أحمد وأهل السنن، وصححه الألباني، «صحيح الجامع» (٣٤٠١).

ذات الدين؛ لأنها هي التي تسعد زوجها، وترضي ربها، وتربي أبناءها، وأعني بالمرأة المتدينة: التي التزمت أمر ربها، وأطاعت رسولها، وتعلمت إسلامها؛ فهي ملتزمة بالإسلام ظاهراً وباطنًا، سرًّا وعلانية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[1].

٣ ـ الاستخارة الشرعية:

فإذا وجد الإنسان ذاتَ الدين، عليه أن يستخير الله تبارك وتعالى فيها؛ فالله عزَّ وجلَّ يعلم خفايا الأمور وخبايا النفوس.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: كان رسول الله يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن؛ يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري (أو قال: عاجل أمري وآجله)؛ فاقدره لي، ويسِّره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري (أو قال: عاجل أمري وآجله)؛ فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم ارضني به؛ قال: ويسمي حاجته**»[2].

---

١) رواه البخاري، ومسلم، و أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

٢) رواه البخاري (كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، ٣/ ٤٨ ـ فتح) وفي (كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، ١١/ ٨٣ ـ فتح) وأبو داود في (كتاب الصلاة، باب الاستخارة ـ ٩٢) والترمذي في (كتاب الوتر) وفي «كتاب الدعوات»، والنسائي في «كتاب النكاح» باب الاستخارة (٦/ ٨٠)، وابن ماجه في «كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في صلاة الاستخارة (١/ ٤٤٠).

٤ ـ تعليمها أمور الدين:

وذلك بأن يعلمها أصول دينها: كيف تؤمن بالله الإيمان الحق، وتوحده التوحيد الخالص، وتؤمن بأسمائه وصفاته على الوجه اللائق بجلاله سبحانه وتعالى، وتعرف ما يجب لله تعالى، وما يجوز له سبحانه، وما يستحيل عليه تبارك وتعالى، وتؤمن بما جاء من عند الله تعالى من أركان الإيمان وسائر أحكام الإسلام الواجبة عليها وأصول معرفة الحلال والحرام.

وأن يعلمها أحكام العبادات، ويحضَّها على القيام بها، خاصة الصلاة في أول الوقت، وشروطها، وأركانها، ومفسداتها، ومكروهاتها، وسائر العبادات، وحقوق الله تعالى عليها، وحقوق الزوجين.

وأن يعلمها مكارم الأخلاق، من وقاية القلب من أمراض الحسد والبغضاء، ووقاية اللسان من الغيبة والنميمة والسب والكذب، ويراقبها في ذلك كله ما استطاع إلى المراقبة سبيلاً[(١)].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

قال عليّ رضي الله عنه: «أدِّبوهم وعلِّموهم».

وقال مجاهد رحمه الله: «اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله».

وقال الضَّحاك رحمه الله: «حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٢٩ ـ ٢١٠).

(٢) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٩١).

وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه»[٢] .

الطريق إلى الولد الصالح:

الولد الصالح هو خير كنز يتركه المسلم من بعده، فهو نافع لأبويه في حياتهما وبعد موتهما .

ولذلك يقول النبي ﷺ: «**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفعُ به، أو ولد صالح يدعو له**»[١] .

ولكن على المسلم أن يأخذ بالأسباب لنيل الولد الصالح، وهذه الأسباب هي :

١ ـ اختيار الأم:

على المسلم أن يختار لأبنائه أمًّا مسلمة، تعرف حق ربها، وحق زوجها وحق ولدها، وتعرف كيف تربي ولدها، لأنها هي المدرسة التي سيتخَرَّج منها الولد، وصدق الشاعر حين قال :

الأمُّ مَدْرَسَةٌ إذا أعْدَدْتَها ... أَعْدَدْتَ شَعْبًا طيِّبَ الأعْراقِ
الأمُّ روضٌ إن تَعَهَّدَهُ الحيا ... بالرِّيِّ أوْرَقَ أيَّما إيراقِ
الأمُّ أُستاذُ الأساتذةِ الألى ... شَغَلَتْ مآثِرَهم مدى الآفاقِ

يقول محمد المقدم : «لا تكاد تقف على عظيم ممن راضوا شمس الدهر وذلت لهم نواصي الحادثات؛ إلا وهو ينزغ بعرقه وخلقه إلى أم عظيمة، وكيف لا يكون ذلك ، والأم المسلمة قد اجتمع لها من وسائل التربية ما لم يجتمع لأخرى ممن سواها، مما جعلها أعرف خلق الله بتكوين الرجال،

---

(١) رواه البخاري في «الأدب، ومسلم في «صحيحه»، وأبو داود، والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

والتأثير فيهم، والنفاذ إلىٰ قلوبهم، وتثبيت دعائم الخلق العظيم بين جوانحهم، وفي مسارب دمائهم.

❋ فالزبير بن العوام: قامت بأمره أمه صفية بنت عبد المطلب، فنشأ علىٰ طبعها وسجيتها.

❋ والكملة العظماء عبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير ثمرات أمهم أسماء بنت أبي بكر وما منهم إلا له الأثر الخالد و المقام المحمود.

❋ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تنقل في تربيته بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمة، وأحفلها بجلال الخلال، فكان مغداه علىٰ أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه علىٰ خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ.

❋ وعبد الله بن جعفر سيد أجواد العرب وأنبل فتيانهم تركه أبوه صغيراً، فتعاهدته أمه أسماء بنت عميس، ولها من الفضل والنبل ما لها.

❋ ومعاوية بن أبي سفيان أريب العرب وألمعيها، ورث عن هند بنت عتبة ما لم يرث عن أبي سفيان، وهي القائلة ـ وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: إن عاش معاوية ساد قومه: «ثكلتُه إن لم يَسُد إلاَّ قومه»، وكان معاوية رضي الله عنه إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأي، انتسب إلىٰ أمه، فصدع أسماع خصمه بقوله: أنا بن هند.

❋ وأبو حفص عمر بن عبد العزيز؛ أروع الملوك، وأعدلهم، وأجلهم، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب؛ أكمل أهل دهرها كمالاً، وأكرمهنَّ خلالاً، وأمها تلك التي اتخذها عمر لابنه عاصم، وليس لها ما تعتز به من نشب ونسب، إلا ما جرىٰ علىٰ لسانها قول الصدق في نصيحتها لأمها[1]،

---

(١) حكىٰ الميداني أن عمر رضي الله عنه مر بسوق الليل ـ وهي من أسواق المدينة ـ فرأىٰ امرأة معها لبن تبيعه، ومعها بنت لها شابة، وقد همت العجوز أن تمذق لبنها (أي: تخلطه بالماء)، فجعلت الشابة تقول: يا أمه لا تمذقيه، ولا تغشِّيه. فوقف عليها عمر، فقال: من هذه منك؟ قالت: ابنتي فأمر عاصمًا، فتزوجها، وهي جدة عمر بن عبد العزيز لأمه، نقلاً عن «عودة الحجاب» (٢/ ١٤٢).

وهي التي نزعت به إلىٰ خلائق جده الفاروق .

* والأمير عبد الرحمن الناصر الذي ولي الأندلس، وهي ولاية تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فما لبث أن قرت له وسكنت لخشيته، ثم خرج في طليعة جنده، فافتتح سبعين حصناً في غزوة واحدة، ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا، وتغلغل في أحشاء سويسرا، وضم أطراف إيطاليا، حتىٰ ريض كل أولئك له، ورجف لبأسه .

وبعد أن كانت قرطبة دار إمارة يذكر الخليفة العباسي علىٰ منابرها وتُمضىٰ باسمه أحكامها؛ أصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوروبة وملوكها، ويختلف إلىٰ معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها .

أتدري ما سر هذه العظمة؟ إنها المرأة، فقد نشأ عبد الرحمن يتيماً قتل عمُه أباه، فتفردت أمه بتربيته، وإيداع سر الكمال وروح السمو في ذات نفسه، فكان من أمره ما علمت .

* وسفيان الثوري، وما أدراك ما سفيان الثوري؟! إنه فقيه العرب ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين في الحديث، الذي قال فيه زائدة: الثوري سيد المسلمين. وقال الأوزاعي: لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضىٰ إلا سفيان .

وما كان ذلك الإمام الجليل، والعَلَم الشامخ، إلا ثمرة أم صالحة، حفظ التاريخ لنا مآثرها وفضائلها ومكانتها، وإن كان ضنَّ علينا باسمها .

روىٰ الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ بسنده عن وكيع، قال: قالت أم سفيان لسفيان: يا بني! اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي .

فكانت ـ رحمها الله ـ تعمل وتقدم له ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوله بالموعظة

والنصيحة .

قالت له ذات مرة، فيما يرويه الإمام أحمد أيضًا: يا بني! إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترىٰ في نفسك زيادة في خشيتك، وحلمك، ووقارك، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك.

فهل ترىٰ من غرابة بعد هذا أن نرىٰ سفيان يتبوأ منصب الإمامة في الدين، كيف وهو قد ترعرع في كنف مثل هذه الأم الرحيمة، وتغذّىٰ بلبان تلك الأم الناصحة التقية؟!

❋ والإمام الثقة الثبت إمام أهل الشام وفقيههم أبو عمرو الأوزاعي.

يقول فيه أبو إسحاق الفزاري: ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعي والثوري، فأما الأوزاعي فكان رجل عامة، والثوري كان رجل خاصة، ولو خُيِّرت لهذه الأمة، لاخترت لها الأوزاعي، لأنه كان أكثر توسعًا، وكان ـ والله ـ إمامًا.

وقد أجمع العلماء علىٰ إمامة الأوزاعي وجلالته وعلو مرتبته وكمال فضله، وأقاويل السلف رحمهم الله كثيرة مشهورة مصرحة بورعه، وزهده وعبادته، وقيامه بالحق، وكثرة حديثه، وغزارة فقهه، وشدة تمسكه بالسُّنَّة، وبراعته في الفصاحة، وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له، واعترافهم بمرتبته.

ذلك الحبر البحر كان أيضًا ثمرة أم عظيمة.

قال الذهبي: قال الوليد بن مزيد البيروتي: ولد الأوزاعي ببعلبك وربِّيَ يتيمًا فقيرًا في حجر أمه، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه في نفسه، ما سمعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلىٰ إثباتها عنه، لا رأيته ضاحكًا يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد؛ أقول: تُرىٰ في المجلس قلب لم

بك؟!

❊ وهذه أم ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك، أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار خلفها زوجها عندها، وخرج إلى الغزو، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة، وكانت أمه قد اشترتهما له بمال الرجل، فأحمد الرجل صنيعها، وأربح تجارتها، في قصة ساقها ابن خلكان قال:

وكان فروخ أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية، وربيعة حَمْلٌ في بطن أمه، وخلف عند زوجته (أم ربيعة) ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسًا، وفي يده رمح، فنزل ودفع الباب برمحه. فخرج ربيعة، وقال: يا عدو الله! أتهجم على منزلي؟ فقال فروخ: يا عدوَّ الله! أنت دخلت علي حرمي، فتواثبا حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بن أنس، فأتوا يعينون ربيعة، وكثر الضجيج، وكل منهما يقول: لا فارقتك. فلما بصروا بمالك؛ سكتوا. فقال مالك: أيها الشيخ! لك سعة في غير هذه الدار. فقال الشيخ: هي داري، وأنا فروخ فسمعت امرأته كلامه، فخرجت، وقالت: هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعًا وبكيا، ودخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابني؟ فقالت: نعم قال: أخرجي المال الذي عندك. قالت: تعرض: قد دفنته وأنا أخرجه. ثم خرج ربيعة إلى المسجد، وجلس في حلقته، فأتاه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، فقالت أمه لزوجها فروخ: اخرج فصل في مسجد رسول الله ﷺ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاها، فوقف عليها، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه قلنسوة طويلة، فشك أبوه فيه، فقال: من هذا الرجل؟ فقيل: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن: فقال: لقد رفع الله ابني. ورجع إلى منزله وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحدًا من

أهل العلم والفقه عليها. فقالت: أمه فأيما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه؟ فقال: لا والله، بل هذا. فقالت: انفقت المال كله عليه، قال: والله ما ضيعتيه»[١].

هذه هي الأم المسلمة التي جلست في بيتها، وأنتجت لنا أعظم ثروة، صنعت الرجال العظماء الذين قادوا البشرية إلى الخير والرشاد.

٢ ـ الدعاء: على المسلم أن يدعو الله أن يرزقه الولد الصالح الذي ينفعه في حياته وبعد مماته، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

٣ ـ أذكار البناء:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادمًا فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ بذروة سنامه، وليقل مثل ذلك**»[٢].

٤ ـ أذكار الجماع:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «**لو أن أحدكم إذا أتي أهله، قال بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد، لم يضره الشيطان أبدًا**»[٣].

---

(١) راجع كتاب «عودة الحجاب» (٢/ ١٤١ ـ ١٤٥).

(٢) رواه أبو داود، وابن ماجه، وحسنه الألباني في «تخريج الكلم الطيب» (ص ١٢٢) وفي «آداب الزفاف» (ص ١٧ ـ ١٨).

(٣) متفق عليه.

٥ ـ التأذين في أذن المولود:

يستحب التأذين في أذن المولود عند ولادته، وذلك لعدة أمور:

١ ـ لفعل النبي ﷺ، فقد قال أبو رافع رضي الله عنه: «رأيت النبي ﷺ أذَّن في أذن الحسن بن علي ـ حين ولدته فاطمة رضي الله عنها ـ بالصلاة»[١].

٢ ـ ولكي يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات التوحيد وشعار الإسلام.

٣ ـ وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر.

٤ ـ هروب الشيطان من كلمات الأذان، لأن الشيطان يترصده عند ولادته.

٥ ـ فيه معنى من معاني انتصار الإنسان على الشيطان.

٦ ـ فيه إشارة إلى أن وظيفة المسلم في الحياة هي الدعوة إلى الله.

﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾.

٦ ـ تحنيك المولود:

يستحب تحنيك المولود عقب الولادة، اقتداء بالنبي ﷺ.

ولكن. ما التحنيك؟ وما الحكمة في ذلك؟

التحنيك: معناه مضغ التمرة، ودلك حنك المولود بها، وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الأصبع، وإدخال الأصبع في فم المولود، ثم تحريكه يميناً وشمالاً، بحركة لطيفة، حتي يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة، وإن لم يتيسر التمر؛ فليكن التحنيك بأية مادة حلوة.

ولعل الحكمة في ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ، حتى يتهيأ المولود للقم الثدي، وامتصاص اللبن بشكل قوي

---

(١) رواه الترمذي وقال: «حسن صحيح»، وحسنه الألباني بشواهده في «الإرواء» (١١٥٩).

وحالة طبيعية، ومن الأفضل أن يقوم بعملية التحنيك من يتصف بالتقوىٰ والصلاح[١].

عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: «ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ، فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليّ»[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يؤتىٰ بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم»[٣].

٧ ـ اختيار الاسم الحسن:

علىٰ المسلم أن ينتقي لابنه من الأسماء أحسنها وأجملها، تنفيذاً لما أرشد إليه وحضَّ عليه المصطفىٰ ﷺ.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم، فأحسنوا أسمَاءكم**»[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله عزَّ وجلَّ عبد الله وعبد الرحمن**»[٥].

٨ ـ العقيقة:

عن سلمان بن عامر الضبي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى**»[٦].

---

(١) انظر «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ٧٧).
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أبو داود، وقال الألباني في «تخريج الكلم الطيب»، (١٢٤): «إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين».
(٤) رواه أبو داود بإسناد حسن.
(٥) رواه مسلم في «صحيحه».
(٦) رواه البخاري في (كتاب العقيقة، باب إماطة الأذىٰ عن الصبي، ٩/ ٥٩٠ ـ فتح).

وعن أم كرز رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن العقيقة، فقال: «**عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة واحدة**»[١].

٩ ـ التربية الإسلامية المتكاملة:

على الآباء والأمهات أن يعلموا أن أمر التربية ليس بالأمر اليسير، وإنما هو المحرك الأساسي لسلوك الولد فيما بعد، ولذا كان يجب على المربين ـ سواء كانوا آباء أو أمهات أو معلمين ـ أن يهتموا بأمر التربية، ويتقنوا أصولها، ولقد كان المسلمون الأوائل ينتقون لأولادهم أفضل المؤدبين علمًا، وأحسنهم خلقًا، وأميزهم أسلوبًا وطريقة، وإليك طرفًا من أخبارهم[٢]:

* وذُكِر أن عتبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب؛ قال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت وعلِّمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكلن على عذر مني، فإني قد اتكلت على كفاية منك.

* وذكر ابن خلدون في «مقدمته»: «أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: يا أحمر! إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيّر يدك عليه مبسوطة، وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين: أقرئه القرآن، وعرّفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلِّمه السنن، وبصِّره بمواقع الكلام، وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تَمُرَّنَّ بك ساعة إلاَّ وأنت مغتنم فائدة تفده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا

---

(١) رواه أهل السنن، وقال الترمذي: «صحيح».
(٢) راجع: «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

تمعن في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباها؛ فعليك بالشدة والغلظة».

وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: «علِّمهم الصدق كما تعلِّمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وروِّهم الشعر، يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم، وجنِّبهم السفلة والخدم، فإنهم أسوأ الناس أدبًا، ووقّرهم في العلانية، وأنِّبهم في السر، واضربهم على الكذب، إن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار».

وقال الحجاج لمؤدب بنيه: «علِّمهم السباحة قبل الكتابة فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم».

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الشام يقول لهم: «علِّموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية».

وقال أحد الحكماء لمعلم ولده: «لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن اصطكاك العلم في السمع وازدحامه في الوهم مضلة للفهم».

ومن وصية أحدهم في تربية الولد: «أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية، حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم، لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس».

قال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي مؤدب ولده: «إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأدِّ الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله، ثم روِّه من الشعر أحسنه، ثم تخللَّ به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم، وبصِّره طرفًا من الحلال والحرام والخطب والمغازي».

** أصول التربية[١] :

لابدَّ للمربين من معرفة أصول التربية الإسلامية والإلمام بجميع جوانبها، حتىٰ يقوموا بها خير قيام، ويعدُّوا لنا الجيل الذي يعود بالأمة المسلمة إلىٰ سيرة الأسلاف الكرام الذين سادوا الأرض بعزة الإيمان، وهاكم أصولها :

أولاً: التربية الإيمانية:

المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقّله بأصول الإيمان وتعويده منذ فهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تمييزه مبادىء الشريعة الغراء .

تعليمه أصول الإيمان؛ مثل : الإيمان بالله سبحانه، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان بسؤال الملكين وعذاب القبر، والبعث، والحساب، والجنة، والنار، وسائر المغيِّبات .

وتعليمه أركان الإسلام مثل : الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج .

وتعليمه مبادىء الشريعة؛ مثل : أقضية الإسلام، وأحكامه، وقوانينه، ونظمه .

وينتج عن ذلك عدة أمور:

١ ـ حب الله تعالى: وذلك بلفت نظر الطفل إلىٰ نعم الله التي لا تعد ولا تحصىٰ .

فمثلاً لو جلس الوالد مع ولده علىٰ الطعام، فقال له : هل تعلم يا بني من أعطانا الطعام؟ فيقول الولد : من يا أبتي؟ فيقول الأب : الله .

فيقول الولد : كيف؟ فيقول الأب : لأن الله هو الذي يرزقنا ويرزق الناس

---

(١) راجع : «تربية الأولاد في الإسلام» (١٥٧ ، ٤١٢) .

جميعًا، أو ليس هذا الإله بأحق أن نحبه يا ولدي؟ سيجيب الولد: بلىٰ.

ولو مرض الولد مثلاً: فيعوِّده الوالد علىٰ الدعاء، يقول له: ادع الله أن يشفيك؛ لأنه هو الذي يملك الشفاء، ثم يحضر له الطبيب، ويقول له: هذ الطبيب سبب فقط، ولكن الشفاء من عند الله، فإذا قدر الله له الشفاء؛ يقول: اشكر الله يا ولدي! ثم يبيِّن له فضل الله فيحبه؛ لأنه هو الذي أكرمه بالشفاء.

وهكذا في كل مناسبة، وعند كل نعمة تربطها بالمنعم، حتىٰ يغرس حب الله في قلب الولد الصغير.

٢ ـ حب الرسول ﷺ:

وذلك بتعليمه مواقف الرسول ﷺ، وشجاعته، ووفاءه، وحلمه، وكرمه، وصبره، وإخلاصه.

وبهذا يحب الولد نبيه ﷺ.

٣ ـ مراقبة الله تبارك وتعالى:

وذلك؛ لأنه يعلم أن الله مطَّلع عليه في كل حركة وسكنة، فسيراقبه ويخشاه، ويخلص في عمله ابتغاء مرضاة الله.

٤ ـ تعلمه أحكام الحلال والحرام:

وذلك لأن المربي سيبين له الحرام حتىٰ يجتنبه، والحلال المباح كي يفعله، والآداب الإسلامية كي يمتثلها.

وخلاصة القول: أن مسؤولية التربية الإيمانية لدىٰ المربين والآباء والأمهات لهي مسؤولية هامة وخطيرة، لكونها منبع الفضائل، ومبعث الكمالات، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان وبدون هذه التربية لا

ينهض الولد بمسؤولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم، ليس له همٌّ سوى أن يسد جوعته ويشبع غريزته، وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين.

فعلى الأب أو المربي أن لا يترك فرصة سانحة تمر إلاَّ وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان، وباللفتات التي تقوي جانب العقيدة.

وهذا أسلوب فعَّال في ترسيخ العقيدة في نفوس الصغار، ولقد استعمله رسول الله ﷺ، فها هو ينتهز فرصة ركوب عبد الله بن عباس خلفه على حمار، فيقول له: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

وها هو يرى غلامًا تطيش يده في الصحفة أثناء تناوله الطعام، فيقول له: «**يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[2].

ثانيًا: التربية الخُلُقة[3]:

التربية الخلقية هي مجموعة المبادئ الخلقية والفضائل السلوكية والوجدانية

---

(١) رواه: أحمد والترمذي، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦/ ٣٠١) برقم (٧٨٣٤).

(٢) رواه البخاري (كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ٩/ ٥٢١ ـ فتح) ومسلم في (كتاب الأشربة: ١٣/ ٣٩٣ ـ نووي).

(٣) راجع: «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٧٧).

ي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقُّله ، إلىٰ أن
صبح مكلفًا ، إلىٰ أن يتدرج شابًا ، إلىٰ أن يخوض خِضَمَّ الحياة .

ومما لا شك فيه أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من
مرات الإيمان الراسخ والتنشئة الدينية الصحيحة .

فالطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ علىٰ الإيمان بالله ، ويتربَّىٰ علىٰ الخشية
نه ، والمراقبة له ، والاعتماد عليه ، والاستعانة به ، والتسليم لجانبه فيما ينوب
يروع ؛ تصبح عنده الملكة الفطرية ، والاستجابة الوجدانية ، لتقبل كل فضيلة
مكرمة والاعتياد علىٰ كل خلق فاضل كريم ، لأن الوازع الديني الذي تأصَّل
ي ضميره ، والمراقبة الإلهية التي ترسَّخت في وجدانه ، والمحاسبة النفسية التي
سيطرت علىٰ تفكيره وإحساساته ، كل ذلك بات حائلاً بين الطفل وبين
الصفات القبيحة ، والعادات الآثمة المرذولة ، والتقاليد الجاهلية الفاسدة ، بل
إقباله علىٰ الخير يصبح عادة من عاداته ، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقًا
أصيلاً من أبرز أخلاقه وصفاته .

والعكس تمامًا حينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية ،
مجرَّدة من التوجيه الديني والصلة بالله عزَّ وجلَّ ، فإن الطفل - لا شك - يترعرع
علىٰ الفسوق والانحلال ، وينشأ علىٰ الضلال والإلحاد بل سيتبع نفسه هواها ،
ويسير خلف نوازع النفس الأمَّارة ، ووساوس الشيطان ، وفقًا لمزاجه وأهوائه
وأشواقه الهابطة .

** الأخلاق الهابطة:

هناك عدة أخلاق منتشرة بين الأطفال ، لابدَّ من مراعاتها والتحذير منها ؛
وهي :

١ ـ خلق الكذب:

وهو خلق ذميم، فواجب على الآباء والمربين أن يراقبوا أولادهم حتى لا يقعوا في ذلك الخلق الشنيع.

ويكفي الكذب تشنيعًا وتقبيحًا أن عدّه الإسلام من خصال النفاق.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أربع من كنَّ فيه، كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[١].

٢ ـ خلق السرقة:

وهو لا يقل خطرًا عن الكذب، وهو منتشر في البيئات المتخلفة التي لم تتخلق بأخلاق الإسلام ولم تتربَّ على مبادئ التربية والإيمان.

ومن المعلوم بداهة أن الطفل منذ نشأته، إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه، وإن لم يتعود على الأمانة وأداء الحقوق، فإن الولد ـ لا شك ـ سيدرج على الغش، والسرقة، والخيانة، وأكل الأموال بغير حق، بل يكون شقيًّا محرومًا؛ يستجير منه المجتمع، ويستعيذ من سوء فعاله الناس.

لهذا؛ كان لزامًا على الآباء أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله، والخشية منه، وأن يعرفوهم بالنتائج الوخيمة التي تنجم عن السرقة، وتستفحل بسبب الغش والخيانة.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ١/ ٨٩ ـ فتح) ومسلم في (كتاب الإيمان، ١/ ٤٦، نووي).

٣ ـ خُلُق السباب والشتائم:

وهو خلق قبيح، منتشر في محيط الأولاد، خاصة مَنْ تربوا بعيداً عن هدي القرآن والالتزام بالإسلام.

يقول عبد الله علوان: «والسبب في انتشار ظاهرة السباب والشتائم بين الأولاد يعود إلىٰ أمرين:

الأول: القدوة السيئة: فالولد حينما يسمع من أبويه كلمات الفحش والسباب وألفاظ الشتيمة والمنكر... فإن الولد ـ لا شك ـ سيحاكي كلماتهم، ويتعوَّد ترداد ألفاظهم؛ فلا يصدر منه في النهاية إلاَّ كلام فاحش، ولا يتلفظ إلاَّ بمنكر القول وزوره.

الثاني: الخلطة الفاسدة: فالولد الذي يلقىٰ للشارع، ويترك لقرناء السوء ورفقاء الفساد، فمن البديهي أن يتلقن منهم لغة اللعن والسباب والشتيمة، ومن الطبيعي أن يكتسب منهم أحط الألفاظ وأقبح العادات وينشأ علىٰ أسوأ ما يكون من التربية الفاسدة والخلق الأثيم.

لهذا كله وجب علىٰ الآباء والأمهات والمربين جميعًا أن يعطوا للأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب، وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير.

كما يجب عليهم أن يجنبوهم لعب الشارع، وصحبة الأشرار وقرناء السوء، حتىٰ لا يتأثروا من انحرافهم ويكتسبوا من عاداتهم.

ويجب عليهم كذلك أن يبصروهم مغبة آفات اللسان ونتيجة البذاءة في تحطيم الشخصية، وسقوط المهابة، وإثارة البغضاء والأحقاد بين أفراد المجتمع»[1] اهـ.

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٨٨).

ويمكنك أن تلقي على أسماعهم بعض الأحاديث التي تنهي عن اللعن والسب؛ مثل:

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[(١)].

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يا رسول الله! وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه»[(٢)].

٤ ـ خلق الميوعة والانحلال:

يقول عبد الله علوان: «أما ظاهرة الميوعة والانحلال، فهي من أقبح الظواهر التي تفشت بين أولاد المسلمين وبناتهم في هذا العصر الذي يلقب بالقرن العشرين، فحيثما أجلت النظر؛ تجد كثيراً من المراهقين الشباب والمراهقات الشابات قد انساقوا وراء التقليد الأعمى، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية، دون رادع من دين، أو وازع من ضمير، كأن الحياة في تصورهم عبارة عن متعة زائلة، وشهوة هابطة، ولذة محرمة، فإذا ما فاتهم هذا، فعلى الدنيا السلام.

وقد ظنَّ بعض ذوي العقول الفارغة أن آية النهوض بالرقص الماجن، وعلامة التقدم بالاختلاط الشائن، ومقياس التجديد بالتقليد الأعمى، فهؤلاء قد انهزموا من نفوسهم، وانهزموا من ذوات شخصياتهم وإراداتهم؛ قبل أن

---

(١) رواه: البخاري في (كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ١/ ١١٠ ـ فتح)، ومسلم في (كتاب الإيمان ٢/ ٥٤ ـ نووي).

(٢) رواه البخاري في (كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، ١٠/ ٤٠٣ ـ فتح) ومسلم في (كتاب الإيمان، ٢/ ٨٣ ـ نووي).

ينهزموا في ميادين الكفاح والجهاد .

فترىٰ الواحد من هؤلاء ليس له هَمٌّ في الحياة إلاَّ أن يتخنفس في مظهره،
وأن يتخلَّع في مشيته ، وأن يتميع في منطقه ، وأن يبحث عن ساقطة مثله ليذبح
رجولته عند قدمها ، ويقتل شخصيته في التودُّد إليها . . . . وهكذا يسير من
فساد إلىٰ فساد ، ومن ميوعة إلىٰ ميوعة ، حتىٰ يقع في نهاية المطاف في الهاوية
التي فيها دماره وهلاكه»[1] .

ومن هنا يتعيَّن علىٰ المربي أن يهذِّب أخلاق الولد ، وأن يبعده عن صحبة
السوء ، وأن يربطه بالصحبة الطيبة ، وعليه أيضاً أن يباشر الولد ؛ فإذا وجد منه
اعوجاجاً ؛ سارع بتقويمه قبل أن يتأصل فيه .

* * *

(١) تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٩١) .

الصفة الرابعة عشر

التقوى

﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾.

عباد الرحمن يدعون ربهم أن يرزقهم التقوىٰ، وأن يجعلهم أئمة يقتدىٰ بهم في الخير. والله تبارك وتعالىٰ يأمرنا بالتقوىٰ، فيقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قيل: يا رسول الله! من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم» فقالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله» قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فُقِهوا[1]»[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم[3] فيها، فينظر كيف تعملون؛ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء[4]؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[5].

---

(١) (فقهوا)؛ بضم القاف وكسرها: أي: علموا أحكام الشرع.

(٢) رواه: البخاري، ومسلم.

(٣) (مستخلفكم)، بكسر اللام، أي: جاعلكم خلفاء في الدنيا، يخلف بعضكم بعضاً.

(٤) (اتقوا النساء) أي: احذروا فتنة النساء.

(٥) رواه مسلم

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهدى التقى والعفاف والغنى**»[١].

وعن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف على يمين، ثم رأى أتقى لله منها، فليأت التقوى**»[٢].

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع، فقال: «**اتقوا الله، وصلُّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدُّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم؛ تدخلوا جنة ربكم**»[٣].

ولكن؛ ما هي التقوىٰ؟

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «التقوىٰ هي: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضىٰ بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

* * *

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي، وقال: «حسن صحيح».

جزاء عباد الرحمن(*)

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾

نعم جزاء عباد الرحمن الجنة، ففي غرفها يجلسون، وعلى سررها يتكئون، وتحت ظلالها يسيرون، وفيها ينعمون، وهم فيها خالدون.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**الخيمةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَة، طُولُها في السَّماءِ ثلاثُونَ ميلاً، في كُلِّ زَاوِيَةٍ منها للمُؤمِنِ مِنْ أَهلٌ لا يَراهُمُ الآخَرُونَ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قالَ اللَّهُ تَعالَى: أَعدَدتُ لعبادي الصَّالحينَ ما لا عَينٌ رَأت ولا أُذُن سَمعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَر، فاقرَؤُوا إن شِئْتُم: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾**»(٢).

وعنه أيضًا رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أولُ زُمرة تَلِجُ الجنةَ صُورَتُهم على صورة القمر ليلةَ البدر؛ لا يَبصُقُونَ فيها، لا يَمتَخطُونَ ولا يَتغوطُونَ، آنيتهم فيها الذهبُ، أمشاطُهُم من الذهب والفضَّة، ومَجَامِرُهُم الأُلوَّةُ، ورشحُهُم المسكُ ولكل واحد منهم زوجتان يُرَى مُخُّ سُوقهما من وَرَاء اللحم من الحُسنِ، لا اختلافَ بينهم ولا تَبَاغُض، قُلُوبُهُم قَلبٌ واحدٌ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكرةً وعَشيّا**»(٣).

وعنه أيضًا رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**أولُ زُمرَةٍ تَدخُلُ الجنة**

(*) راجع: «وصف الجنة من صحيح السنة» للمؤلف.

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٨ ـ فتح).

(٢) رواه البخاري، (٦/ ٣١٨ ـ فتح).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٣١٩ ـ فتح).

على صُورَةِ القمرِ ليلةَ البدر، والذينَ على إثرِهم كأشَدِّ كوكَبٍ إضاءَةً، قُلُوبُهُم على قلبِ رَجلٍ واحد، **لا اخْتلافَ بينهم ولا تَبَاغُضَ»**[١] .

وعن أنس رضي الله عنه، قال: أهدي للنبي ﷺ جبة سندس، وكان ينهي عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «**والذي نفس محمد بيده؛ لمناديل سعد ابن مُعاذٍ في الجنةِ لأحسنُ من هذا**»[٢] .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**موضعُ سوطٍ في الجنَّةِ خيرٌ مِنَ الدُّنيا وَمَا فيها**»[٣]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّةِ لَشَجَرَةً يسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّهَا مائةَ عامٍ لا يَقطَعُها**»[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقابُ قوسِ أحَدِكُم في الجنةِ خيرٌ مما طَلَعَتْ عَلَيه الشَّمسُ أو تغرُبُ**»[٥] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أهلَ الجنة يَتَرَاءَونَ أهلَ الغُرَفِ من فوقِهم كما تَتراءَونَ الكوكَبَ الدُّرِّيَّ الغابر في الأفُقِ من المشرقِ أو المغربِ لتَفاضُلِ ما بينَهُم**». قالوا يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلى، والَّذي نَفْسِي بِيَدِه؛ رِجَالٌ آمنوا باللَّهِ وصَدَّقُوا المرسَلينَ**»[٦] .

* * *

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٩ ـ فتح).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣١٩ ـ فتح).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٣١٩ ـ فتح).

(٤) رواه البخاري (٦/ ٣١٩ ـ فتح).

(٥) رواه البخاري (٦/ ٣٢٠ ـ فتح).

(٦) متفق عليه.

خاتمة

وبعدِ أيها المسلمون!

فهذه الجنة، وهذه طريقها؛ فسارعوا إليها قبل فوات الأوان . . .

قبل أن يدرككم الموت، فتقولون: ربنا أرجعنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل؛ فلا يُسمع لكم ولا يُجاب طلبكم.

وابدؤوا طريقكم هذا بتوبة نصوح

وأقبلوا على الله بصدق وإخلاص، فإن الله يبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار، ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها[١].

واعلموا عباد الله أن الجنة ليست بالشيء الهين اليسير، إنما هي سلعة غالية . . .

فهذا نبينا ﷺ ينادينا: «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[٢].

فالجنة تحتاج إلى جهاد . . . جهاد طويل، وصبر، ومثابرة، وصدق، وإخلاص، وعلم، وعمل . . .

فهيا إلى الطريق . . .

والله معكم.

وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.